الدكتور
عبد الحليم محمود

الطبعة الرابعة

شہر رمضان

تصميم الغلاف : شريفة أبو سيف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، وخير الخلق أجمعين . من أرسله الله رحمة للعالمين ، وأنزل عليه القرآن يهدى للتى هى أقوم ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وعلى أصحابه ، ومن اتبع هديه إلى يوم الدين .

مقدمة

فى جو التوبة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين .

وبعد : فإن رسول الله ﷺ يقول : « أنا نبى التوبة » والواقع أن الطريق إلى التوفيق فى عمل الحق الذى أرسل الله به رسوله إنما يبدأ بالتوبة الخالصة النصوح ، ولقد كان رسول الله ﷺ يعيش فى جو من التوبة مستمر ، ولقد روى عنه أنه كان يقول ما معناه : يأيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإنى أستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة ويقول : يأيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإنى أتوب إليه وأستغفره فى اليوم مائة مرة ، وما كانت توبة رسول الله ﷺ عن ذنب وحاشاه ﷺ وهو المعصوم ، وما كانت توبته ﷺ عن غفلة ، كلا ، وحاشاه صلوات الله وسلامه عليه ، وإنما كانت توبته توبة عبادة وتوبة عبودية ، ومن أجل ذلك كان يكثر منها عبادة وعبودية ، وكان يكثر منها ليكون فى داخل الإطار الذى رسمه الله سبحانه وتعالى بقوله : (إن الله يحب التوابين) ، والتوابون هم الذين يكثرون من التوبة .

وإن للتوبة الصادقة خصائص ، إنها أولا تخرج الشيطان من القلب فيصبح طاهراً بريئاً من كل دنس ، وهذا هو المغزى العميق من وراء كل الجدل والمماراة فى حادث شق الصدر ، وما من شك فى أن المغزى الذى نأخذه من شق الصدر واستخراج حظ الشيطان منه هو الطهارة الكاملة للصدر ، ونشأ رسول الله ﷺ منذ بواكير حياته مطهراً نقياً ، وأول خصائص التوبة إذن إنما هى الطهارة والبراءة التامة .

وإذا أخذنا شق الصدر بالنسبة للرسول ﷺ بمثابة التوبة بالنسبة لنا ، فإننا نقول إن من خصائص التوبة حينما تتكرر فى صدق وإخلاص أن تملأ القلب سكينة ، لأن الإنسان بالتوبة الصادقة يلقى بنفسه فى الرحاب الإلٓهى فيسكن إلى الله ، وكفى بالله هادياً وكفى بالله نصيراً ، إنه بالتوبة وهى نوع من اللجوء إلى الله ، والتضرع إليه والإنابة يسلم الأمر إلى الله وفى التوبة تسليم ، وفى التوبة توحيد ، وفى التوبة توكل على الله فيمتلىء القلب سكينة ، وإذا كانت الأحاديث الشريفة تقول عن شق الصدر فى المرة الأولى : إن الملكين استخرجا حظ الشيطان من القلب الشريف ، فإنها تقول عن شق الصدر فى المرة الثانية : إن الملكين ملآ قلبه الشريف سكينة .

وبتكرر التوبة فتصل إلى ما عبرت عنه الأحاديث الشريفة عن شق الصدر الشريف فى المرة الثالثة ، وذلك أن الملكين ملآ القلب الشريف حكمة ، وكذلك فى التوبة إذا دامت . ثم إنها إذا تكررت انتهت بحب

الله العبد المكثر من التوبة إن الله يحب التوابين .

وكلمة رسول الله ﷺ . أنا نبي التوبة معناها فى النهاية أنا النبى الذى أتيت راسماً الطريق الذى يسير بالإنسان فى خطوات منتظمة رتيبة إلى استخراج حظ الشيطان من القلب ، ثم إلى امتلاء القلب سكينة ، ثم إلى امتلاء القلب حكمة ، ثم إلى حب الله سبحانه وتعالى لعبده التائب .

وأما بعد فإن من طرائف العقول المستبصرة ما رواه صاحب كتاب الشامل ونقله عن الإمام ابن كثير فى تفسيره من أن أعرابياً جاء إلى الضريح النبوى الشريف وقال :

السلام عليك يا رسول الله ، لقد قال الله فى كتابه العزيز :

(ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً) .

وقد جئتك مستغفراً لذنبي مستشفعا بك إلى ربى ثم أنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكُم

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم

وانصرف الأعرابى ، وكان جالساً بالقرب منه رجل صالح يسمع كلامه ، فأخذته سنة من النوم فرأى النبى ﷺ فى النوم يقول له : الحق بالأعرابى فبشره بأن الله قد غفر له . .

هذا وبالله التوفيق ، ، ،

الفصل الأول

شهر رمضان وليلة القدر

١ – شهر رمضان فى اللغة

والشهر فيما قيل ، أصله من « الشهرة » . يقال منه :

« قد شهر فلان سيفه » – إذا أخرجه من غمده فاعترض به من أراد ضربه – « يشهره شهراً » . وكذلك « شهر الشهر » ، إذا طلع هلاله ، « وأشهرنا نحن » ، إذا دخلنا فى الشهر ، هذا عن كلمة : شهر .

أما عن كلمة رمضان : فإنها من الرمض ، يقول صاحب مختار الصحاح :

« الرمض » بفتحتين : شدة وقع الشمس على الرمل وغيره ، والأرض (رمضاء) بوزن حمراء ، وقد (رمض) يومنا : اشتد حره ، وبابه طرب ، وأرض (رمضة) الحجارة و (رمضت) قدمه أيضاً من الرمضاء أى احترقت .

وفى الحديث « صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال من الضحا » ، أى إذا وجد الفصيل حر الشمس من الرمض ، يقول صلاة الضحا ، تلك الساعة .

و (أرمضته) الرمضاء : أحرقته .

وشهر (رمضان) جمعه (رمضانات) و (أرمضان) بوزن

أصفياء . قيل : إنهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التى وقعت فيها فوافق هذا الشهر أيام رمض الحر فسمى بذلك » [1] .

وكان مجاهد رضى الله عنه يكره أن يقال : « رمضان » . ومن كلامه :

« لكن نقول كما قال الله : « شهر رمضان » .

٢ – ليلة القدر

وفى هذا الشهر المبارك ، أنزل القرآن الكريم . . يقول سبحانه :

(شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) .

ويقول سبحانه :

(إنا أنزلناه فى ليلة القدر ، وما أدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر ، تنزل الملائكة والروح فيها ، بإذن ربهم من كل أمر ، سلام هى حتى مطلع الفجر) .

إن وثيقة فريدة فى العالم كله ، لا مثيل لها فى تراث الإنسانية تحدثنا عن هذه الكيفية .

---

(١) مختار الصحاح

ونعنى بذلك الحديث الشريف الذى رواه الإمام البخارى ، وروته كتب السنة عن كيفية بدء الوحى :

يقول الإمام البخارى نضر الله وجهه : حدثنا يحيى بن بكير قال : حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير ، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت :

« أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح . ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه — وهو التعبد — الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق ، وهو فى غار حراء فجاءه الملك فقال : اقرأ

قال : ما أنا بقارئ

قال : فأخذنى فغطنى حتى بلغ من الجهد ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ

قلت : ما أنا بقارئ

فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ

فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذنى فغطنى الثالثة ، ثم أرسلنى فقال : (اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ

وربك الأكرم)

فرجع بها رسول الله ﷺ ، يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها فقال :

زملونى ، زملونى ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسى ، فقالت خديجة :

«كلا والله ما يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق » .

فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ، ابن عم خديجة ، وكان امرأ تنصر فى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبرانى ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ، ما شاء الله أن يكتب وكان شيخاً كبيراً ، قد عمى فقالت له خديجة :

يابن عم اسمع من ابن أخيك .

فقال له ورقه : يابن أخى ، ماذا ترى ؟

فأخبره رسول الله ﷺ ، خبر ما رأى .

فقال له ورقة :

هذا الناموس الذى نزل الله على موسى ، يا ليتنى فيها جذعاً ، ليتنى أكون حياً إذ يخرجك قومك .

فقال رسول الله ﷺ :

أو مخرجىّ هم ؟

قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى ، وإن يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزراً . » .

إن هذا الحديث الشريف يوضح كيفية نزول الوحى .

ولقد سمى القرآن الليلة التى نزل فيها القرآن : ليلة القدر ، أى ليلة الشرف والرفعة ووصفها بأنها مباركة يقول الله تعالى :

(إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم . أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين . رحمة من ربك إنه هو السميع العليم) .

وما دام القرآن الكريم قد أنزل فى ليلة القدر ، وأنه سبحانه قد أنزله فى شهر رمضان فإنه يتعين أن تكون ليلة القدر فى شهر رمضان .

ويتساءل الناس : أى ليلة هى فى شهر رمضان ؟

وإذا نظرنا إلى القرآن الكريم ، فإننا نجد أنه لم يحددها ، ولم يحددها الرسول ﷺ تحديداً تاماً ، وإنما حددها على التقريب فإنه صلوات الله عليه وسلامه يقول فيما رواه البخارى ومسلم رضى الله عنهما :

« تحروا ليلة القدر فى العشر الأواخر » أى فى العشر الأواخر من رمضان : وتحروا : أى اطلبوها بجد فى العبادة ، ثم يقرب الرسول ﷺ الأمر أكثر من ذلك فيقول فيما رواه الإمام البخارى :

« تحروا ليلة القدر فى الوتر من العشر الأواخر من رمضان » .

ولقد رآها كثير من الصحابة فى السبع الأواخر من رمضان .

ويحددها أبىّ بن كعب ، وابن عباس رضى الله عنهما ، وكثير غيرهما

بأنها ليلة السابع والعشرين .

عن زر بن حبيش قال : سألت أبيّ بن كعب فقلت : إن أخاك ابن مسعود يقول : « من يقم الحول يصب ليلة القدر » فقال رحمه الله : « أراد ألا يتكل الناس » .

أما إنه قد علم أنها فى رمضان ، وأنها فى العشر الأواخر ، وأنها ليلة سبع وعشرين » ثم حلف لا يستثنى أنها ليلة سبع وعشرين . فقلت : بأى شىء تقول ذلك يأبا المنذر ؟ قال : « بالعلامة – أو بالآية – التى أخبر عنها رسول الله ﷺ أنها تطلع يومئذ لا شعاع لها » .

وعن أبى سعيد الخدرى ، أن رسول الله ﷺ اعتكف العشر الأول من رمضان ثم اعتكف العشر الأوسط فى قبة تركية ، ثم أطلع رأسه فقال : « إنى أعتكف العشر الأول ألتمس هذه الليلة ، ثم أعتكف العشر الأوسط ثم أتيت فقيل لى :

إنها فى العشر الأواخر ، فمن كان اعتكف معى فليعتكف العشر الأواخر ، ثم أريت هذه الليلة ثم أنسيتها ، وقد رأيتنى أسجد فى ماء وطين من صبيحتها ، فالتمسوها فى العشر الأواخر . . . والتمسوها فى كل وتر » .

قال : فمطَرَت السماء تلك الليلة ، وكان المسجد على عريش ، فوكف المسجد فبصُرت عيناى رسول الله ﷺ ، وعلى جبهته أثر الماء والطين من صبيحة إحدى وعشرين .

متفق عليه فى المعنى واللفظ لمسلم إلى قوله : « فقيل لى إنها فى العشر الأواخر » . والباقى للبخارى .

على أن المحاولات فى سبيل تحديد ليلة القدر كثيرة وطريفة .

منها مثلا ما قال بعضهم : من أن عدد كلمات سورة القدر ثلاثون كلمة كعدد أيام رمضان ، وكلمة « هى » التى تشير إلى ليلة القدر فى قوله تعالى فى السورة نفسها : (سلام هى) هذه الكلمة تمام سبعة وعشرين ، هذه محاولة .

ومحاولة أخرى هى :

أن حروف ليلة القدر تسعة حروف وقد ذكرت ليلة القدر فى السورة ثلاث مرات ، وثلاثة فى تسع بسبع وعشرين .

أما الشيخ أحمد زروق رضى الله تعالى عنه فإنه يقول فيها :

إنها لا تفارق ليلة جمعة من أوتار آخر الشهر وقد روى هذا أيضاً عن ابن العربى .

وهذه محاولات ، أما الثابت اليقين ، هو : أن القرآن لم يعينها تعييناً واضحاً ، . . . وأن الرسول ﷺ لم يحددها تحديداً تاماً .

ولقد قال أسلافنا رضى الله عنهم :

أخفى الرب أموراً فى أمور لحكم :

ليلة القدر فى الليالى لتحيى جميعها .

وساعة الإجابة فى الجمعة ليدعو فى جميعها .

والصلاة الوسطى فى الصلوات ليحافظ على الكل .

والاسم الأعظم فى أسمائه ليدعى بالجميع .

ورضاء فى طاعته ليحرص العبد على جميع الطاعات

وغضبه فى معاصيه لينزجر عن الكل .

والولى فى المؤمنين ليحسن الظن بكل منهم .

ومجىء الساعة فى الأوقات للخوف منها دائماً .

وأجل الإنسان عنه ، ليكون دائماً على أهبة .

ويعقب الشيخ أحمد الصاوى على ذلك فى حاشيته ، على الجلالين ، فيقول :

« فعلى هذا يحصل ثوابها لمن قامها ، ولو لم يعلمها ، نعم العالم بها أحمل ، هذا الأظهر » .

* * *

أما فضلها فإنه هائل ضخم ، ففيها نزل القرآن هدى للناس ، وبينات من الهدى والفرقان .

ومعنى نزول القرآن نزول رسالة الرحمة العامة ، الرحمة بكل العوالم ، فإن الله سبحانه وتعالى قد حدد سبب الرسالة الإسلامية ، وحدد أساسها وحدد غايتها ، وهدفها بأنه الرحمة .

يقول تعالى : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) .

ويقول سبحانه : (حم والكتاب المبين ، إنا أنزلناه فى ليلة مباركة ،

إنا كنا منذرين ، فيها يفرق كل أمر حكيم ، أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين ، رحمة من ربك إنه هو السميع العليم) .

ثم إنه تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم .

فعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ .

« إذا كان ليلة القدر نزل جبريل (عليه السلام) فى كبكبة من الملائكة ، يصلون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله عز جل ، فإذا كان يوم عيدهم ، يعنى يوم فطرهم – باهى بهم ملائكته ، فقال : يا ملائكتى . . ما جزاء أجير وفّى عمله ؟ قالوا :

ربنا جزاؤه أن يوفى أجره . قال :

ملائكتى ؟ عبيدى وإمائى قضوا فريضتى عليهم ، ثم خرجوا يعجون إلىّ بالدعاء وعزتى وجلالى ، وكرمى وعلوى ، وارتفاع مكانى ، لأجيبنهم ، فيقول : ارجعوا فقد غفرت لكم ، بدلت سيئاتكم حسنات . قال : فيرجعون مغفوراً لهم » .

ثم هى سلام من أولها حتى مطلع الفجر : (سلام هى حتى مطلع الفجر) .

ومن أجل ذلك كانت خيراً من ألف شهر .

والألف شهر هى : ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر ، وذلك عادة عمر الإنسان ، فهى خير من عمر الإنسان ، من عمر كل إنسان : من عمر كل إنسان فى الماضى وفى المستقبل ، أى أنها خير من الدهر .

ومن فضل الله سبحانه وتعالى على المسلمين ، أن من قامها ، إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه .

وفى فضلها نروى الأحاديث التالية :

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال :

دخل رمضان فقال رسول الله ﷺ :

« إن هذا الشهر قد حضركم ، وفيه ليلة خير من ألف شهر ، من حرمها فقد حرم الخير كله ولا يحرم خيرها إلا محروم » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من قام ليلة القدر إيمانا واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » .

وتقدم فى وراية لمسلم قال :

« من يقم ليلة فيوافقها – وأراه قال : إيماناً واحتساباً – غفر له ما تقدم من ذنبه » .

وروى أحمد من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل عن عمرو بن عبد الرحمن عن عبادة بن الصامت قال : أخبرنا رسول الله ﷺ عن ليلة القدر قال :

« هى فى شهر رمضان فى العشر الأواخر ، ليلة إحدى وعشرين ، أو ثلاث وعشرين ، أو خمس وعشرين ، أو سبع وعشرين ، أو تسع وعشرين ، أو آخر ليلة من رمضان ، من قامها إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر» .

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ، عن النبى ﷺ قال :
« من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن صام رمضان ايماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » .

يقول الإمام الصاوى فى حاشيته على الجلالين :

« وأحسن ما يدعى به فى تلك الليلة العفو والعافية كما ورد » .

وينبغى لمن شق عليه طول القيام ، أن يتخير ما ورد فى قراءته ، كثرة الثواب : كآية الكرسى .

فقد ورد أنها أفضل آية فى القرآن .

وكأواخر البقرة لما ورد : « من قام بهما فى ليلة كفتاه » .

وكسورة « إذا زلزلت » لما ورد : أنها تعدل نصف القرآن .

وكسورة « الكافرون » لما ورد : أنها تعدل ربع القرآن .

والإخلاص تعدل ثلثه .

ويس ، لما ورد : أنها قلب القرآن ، وأنها لما قرئت له .

ويكثر من الاستغفار ، والتسبيح والتحميد ، والتهليل ، وأنواع الذكر : والصلاة على النبى ﷺ .

ويدعو بما أحب لنفسه ، ولأحبابه ، أحياء وأمواتاً .

ويتصدق بما تيسر له .

ويحفظ جوارحه عن المعاصى .

ويكفى فى قيامها صلاة العشاء والصبح فى جماعة .

وورد من صلى المغرب والعشاء فى جماعة ، فقد أخذ بحظ وافر من ليلة القدر .

وورد من صلى العشاء فى جماعة ، فكأنما قام شطر الليل ، فإذا صلى الصبح فى جماعة فكأنما قام شطره الآخر.

وقد ورد : « من قال لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، ثلاث مرات ، كان كمن أدرك ليلة القدر ، فينبغى الإتيان بذلك كل ليلة » .

هل هى حقاً ليلة تفتح فيها أبواب السماء لإجابة الدعاء ؟

نعم ، ولا ريب ، أنها ليلة تفتح فيها أبواب السماء لإجابة الدعاء للموعودين . والموعودون هم الذين استجابوا لله سبحانه وتعالى ، فاستجاب الله لهم ، هم الذين استقاموا كما أمروا ، هم الذين أسلموا وجوههم إليه ، فتكفل بهم .

إن هؤلاء إذا سألوا الله أعطاهم ، وإذا استعاذوا به أعاذهم ، ورب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره .

ومن وسائل التأهل لليلة القدر : الاعتكاف .

وسنة الاعتكاف أن يبدأ الذى عزم على الاعتكاف ، اعتكافه بعد صلاة الفجر مباشرة .

عن عائشة رضى الله عنها ، قالت :

كان رسول الله ﷺ ، إذا دخل العشر أى العشر الأخيرة من

رمضان ، شد مئزره ، وأحيا ليله ، وأيقظ أهله .

وفى رواية لمسلم :

كان يجتهد فى العشر الأواخر مالا يجتهد فى غيره .

وعن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يعتكف ، صلى الفجر ، ثم دخل فى معتكفه .

وتوضح السيدة عائشة رضى الله عنها سلوك المعتكف فتقول :

« السنة على المعتكف ألا يعود مريضاً ، ولا يشهد جنازة ، ولا يمس المرأة ، ولا يباشرها ولا يخرج لحاجة ، إلا لما بد منه ، ولا اعتكاف إلا بصوم ، ولا اعتكاف إلا فى مسجد جامع »[(١)].

والمعتكف يستعد للاعتكاف بالفراش والغطاء وبما يلزمه .

عن ابن عمر ، عن النبى ﷺ : أنه كان إذا اعتكف طرح له فراشه ، أو يوضع له سريره وراء أسطوانة التوبة[(٢)].

وبعد :

فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سمعت صاحب هذا القبر يقول من مشى فى حاجة أخيه وبلغ فيها (أى حتى قضى له أمره) كان خيراً له من اعتكاف عشر سنين .

ومن اعتكف يوماً ابتغاء وجه الله تعالى ، جعل الله بينه وبين النار

---

(١) رواه أبو داود .　　(٢) رواه ابن ماجه .

ثلاث خنادق أبعد مما بين الخافقين [١] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال فى المعتكف :

« هو يعكف الذنوب ، ويجرى له من الحسنات كعامل الحسنات كلها » [٢] .

وعن عائشة قالت : قلت : يا رسول الله ! أرأيت إن علمت أى ليلة ليلة القدر ، ما أقول فيها ؟ قال : قولى :

« اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى » [٣] .

٣ - ليلة القدر

إيجاز ، وتلخيص ، وتفصيل

يقول الله تعالى :

(شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) .

---

(١) رواه الحاكم وصححه .

(٢) أى أن المعتكف قد اتخذ الأسباب بالاعتكاف لحفظ نفسه من الذنوب فيكتب الله تعالى له من الثواب ما يماثل ثواب فاعل الطاعات كلها وذلك أنه وقف نفسه فى بيت الله على طاعة الله .

(٣) رواه أحمد ، وابن ماجه ، والترمذى وصححه .

ويقول سبحانه :

(إنا أنزلناه فى ليلة القدر) .

وليلة القدر إذن هى فى شهر رمضان ، أخذاً من هذه النصوص الكريمة .

ويخبر ، سبحانه ، عن هذه الليلة : أنها خير من ألف شهر ، إذ تنزل الملائكة والروح فيها ، بإذن ربهم من كل أمر .

وهى فضلا عن ذلك ، سلام يستمر من غروب الشمس حتى مطلع الفجر .

ومن أجل هذا الفضل العظيم ، كان رسول الله ﷺ ، يستعد لها بالعبادة ، ويهيئ الجو الروحى المناسب لنزول الملائكة والروح ، والمناسب للسلام القلبى الذى هو ثمرة التوبة والإنابة والتقوى ، والذى هو اطمئنان النفس إلى الله ، فيخاطبها سبحانه ، خطاباً تفهمه .

(يأيتها النفس المطمئنة : ارجعى إلى ربك – فى هذه الدنيا وفى الآخرة – راضية عن الله ، مرضية منه ، فادخلى فى عبادى عاجلا ، وادخلى جنتى آجلا .

وكانت التهيئة التى يقوم بها ، ﷺ ، استعداداً لشروق نور هذه الليلة الشريفة : إنما هى الاعتكاف ، كان ﷺ ، يعتكف عادة فى العشر الأواخر من رمضان ، فيدخل المسجد قبل غروب شمس اليوم العشرين من الشهر المبارك : يدخل متفرغاً للعبادة ، متجهاً إلى الله بكل كيانه .

وما من شك فى أن الاعتكاف فى المسجد ، يهيئ الجو لجمع الخواطر ، ويهئ الصفاء القلبى ، فيتفرغ الإنسان للطاعة ، متشبهاً بالملائكة ، ويتعرض بذلك لليلة القدر ، وقد كان ، ﷺ ، يحث الصحابة على هذا الاعتكاف ، ويشجعهم عليه ، التماساً لمرضاة الله وتعرضاً ، لإشراق ليلة القدر .

وهى ليلة يكون فيها انتشار الروحانية بقراءة القرآن والصلاة والذكر ، وتنزل فيها الملائكة طائفة بالذاكرين ، مستغفرة لهم ومصلية عليهم ، مبشرة لهم .

عن أنس رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ ، قال : « إذا كان ليلة القدر نزل جبريل فى كبكبة من الملائكة ، يصلون ويسلمون على كل عبد قائم أو قاعد ، يذكر الله تعالى » .

ويقول الله سبحانه :

(إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ، تتنزل عليهم الملائكة : ألا تخافوا ولا تحزنوا ، وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون ، نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم » .

إن أنوار المؤمنين المتبتلين فى تلك الليلة : تتلألأ متعاكسة فيما بينهم ، وتمتزج ، فتجذب بلألائها الأوراح الملائكية ، فتقترب من المتعبدين فتزيد فى الصفاء ، فيكون انشراح الصدر ، ووضع الأوزار التى تنقض

الظهور ، ويكون غسل القلب بالماء والثلج والبرد وتتوافر بكل ذلك وسائل التعرض لنفحات الله .

« إن لربكم فى أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها »

وليلة القدر من نفحات الله .

الفصل الثاني

شهر رمضان والصيام

بسم الله الرحمن الرحيم

(يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر ، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له ، وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون . شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون) .

صدق الله العظيم

وأما الصيام ، فإن ابن جرير يقول :

« الصيام » مصدر ، من قول القائل : « صمت عن كذا وكذا » — يعنى : « كففت عنه » — « أصوم عنه صوماً وصياماً » .

ومعنى « الصيام » ، « الكف عما أمر الله بالكف عنه » ، ومن ذلك قيل : « صامت الخيل » ، إذا كفت عن السير .

ومنه قول الله تعالى فى ذكره : (إنى نذرت للرحمن صوماً)[1] .
يعنى : صمتاً عن الكلام .

وأما الصوم الإسلامى الشرعى ، فهو ما نبتدئ الحديث عنه : نعود فى هذا إلى الآية القرآنية الكريمة .

(شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، ولتكملوا العدة ، ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون)[2] .

نبتدئ فى الحديث عن الصيام ، بالحديث عن حكمته .

حكمة الصيام

يتحدث الناس عن صيام رمضان ، وفوائده ، وحكمة مشروعيته ، منذ أن فرضه الله تعالى ، إلى الآن .

وحينما يحل هذا الشهر المبارك ، يكثر الحديث عنه فى الصحف ، والمجلات ، والكتب . وصحافتنا المصرية : تتبارى فى اجتذاب أكبر عدد من الكتاب ، ليكتبوا : « حديث رمضان » أو : « حديث الصيام » .

---

(١) سورة مريم آية : ٢٦ (٢) سورة البقرة آية : ١٨٥

ويتنافس كتابنا فى استنتاج الهدف من فرض الصيام.

ومن الحق أن نقول : إن التوفيق يصاحبهم فى كثير من الأحايين. بيد أن هذه الآراء التى تذكر فى حكمة الصيام : محدودة معينة ، ولذلك كانت دائماً ، موضع تكرار ، ولو لم يكرر القول لنفد كما يقولون.

لذلك كانت تفاوت كتابنا ، إنما هو ، على الخصوص ، فى كيفية العرض وجمال الأسلوب.

ومن الآراء التى ذكرت فى حكمة الصيام.

١ – الإنسان تحكمه عاداته ، ويصل به الأمر إلى أن يصبح مجموعة من العادات ، وتتحكم فيه العادات إلى درجة يصبح معها ، كأنه آلة من الآلات ، تسير على نسق معين تؤدى أعمالا محدودة ، فيبتعد كل الابتعاد عن المرونة التى تفرق بينه وبين الآلات.

والإنسان الذى تحكمه عاداته : يصبح عبداً لها ، ويتخلى عن شيم الأحرار الذين يعملون فى حرية واختيار.

وفرض الله الصيام ، ليحرر الإنسان من هذه العبودية ، فإن الصيام يقلب العادات رأساً على عقب ، ويعلم الإنسان نوعاً من المرونة ، حتى لا يتصرف تصرف الآلة.

٢ – وقد كتب الكاتبون كثيراً عن فائدة الصوم من الناحية الطبية ، وقد عبر عن ذلك خير تعبير ، المرحوم الأستاذ « فريد وجدى » إذ يقول :

«كان الناس ، إلى زمان قريب ، يحسبون أن الصيام من الشئون الخاصة بالأديان ، ولكن لم يكد ينتشر تاريخ الطب بين الناس ، حتى علموا أن الصيام قد اعتبر فى كثير من الأمراض : من مقومات الصحة الجسمانية ، كما علموا من عهد « أبقراط » أنه عامل قوى من العوامل المنقية للجسم من سموم الأغذية ، فإن المواد الحيوانية التى نتناولها بشراهة ، تحتوى على مواد دهنية ، ومواد رباعية العناصر ، لا تطيق البنية البشرية أن تختزن مقداراً يزيد عن الحاجة منها ، وإطلاق الحرية للإنسان ، يجعله يتناول كل ما يقع تحت يده وكثيراًما يصاب بسبب هذه الحرية بآفات مرضية ، تكون وبالا عليه ، والصوم ذو تأثير بالغ فى تخفيف الأعراض التى تنتاب الأعضاء الظاهرة والباطنة ، وتحويل محمود فى حالة المريض يتأدى منه إلى التخلص مما أصابه من الآلام والانحرافات ، وصحة الروح من هذا التحويل لا تقل قيمة عن صحة الجسم . وقد استفاد الطب من ناحية الصوم مالم يستفده من ناحية العلاج بالعقاقير .

٣ – وقد فرض الله الصوم ، ليحس الغنى بألم الجوع ، فيحسن إلى الفقير ، وبذلك يتم العطف والمودة ، وينشأ عنهما تماسك المجتمع وسعادته .

٤ – وقد فرض الله الصوم كذلك تربية للإرادة وتقوية للعزيمة ، وتدريباً على الصبر .

٥ – وكذلك فرض الله الصوم ، تهذيباً للنفس ، وتصفية للروح .

هذه الآراء وغيرها ، قد قيلت فى حكمة الصوم ، وكررت ، ولكن الذى لاحظه الكثيرون من ذوى البصائر أن الأمم الإسلامية ، فى وضعها الحالى ، أقل مرونة من الأمم الغربية ، وعلى الأخص ، من قطر كأمريكا الشمالية مثلا ، ويلاحظون ، أن هذه الأمم الإسلامية ، أقل فى مستواها الصحى ، من الأمم الغربية ، كما يلاحظون أننا فى بيئاتنا الحاضرة ، وفى وضعنا الراهن : نعانى الأمرين : من شح الأغنياء ، ولا نكاد نرى من يتبرع لمعهد علمى ، لتعليم أولاد الفقراء ، أو لمبرة خيرية ، وبيوتهم مغلقة لا يكاد الفقير يجرؤ حتى على التطلع إليها ، ومع أنهم يسرفون فى ملاذهم وينفقون الآلاف فى أوربا وغيرها على موائد القمار وحفلات السباق ، وعلى الغانيات والراقصات : فإنهم لا ينفقون شروى نقير فى وجه من وجوه الخير .

ومن دقة الإمام الشافعى ، رضى الله عنه ، أنه لم يقل : إن الصوم يعلم الجود أو يبسط الأيدى وإنما تمنى أن يكون الصائم كذلك ، فقال فى أسلوبه الدقيق : « أحب للصائم الزيادة بالجود فى شهر رمضان ، اقتداء برسول الله ، ﷺ ، ولحاجة الناس فيه إلى مصالحهم ، ولتشاغل كثير منهم فيه بالعبادة عن مكاسبهم » .

ولاحظ ذوو البصائر أيضاً : أن الصبر ، لا يكاد يوجد عند

الصائم ، بل يتخذ الناس الصوم عذراً للصائم ، إذا تجاوز الحد ، وكثيرا ما تجاوزه .

* * *

لهذا كله ، رأى بعض المفكرين ، أن حكمة الصوم لا نعلمها ، ذلك أنه عبادة والعبادة فى كثير من تفاصيلها ، لا نعلم لها حكمة ، هل نعلم مثلا ، حكمة الصلاة فى أن تكون ركعتين فى الصبح ، وقت النشاط ، وأربعاً فى الظهر وهو وقت يكون الإنسان فيه عادة ، مجهداً ؟ إن الصوم ، حسبما يرون ، من هذا النمط ، . . فرضه الله تعالى ، لحكمة ، لا شك فى ذلك ولكننا لا نعلمها .

ونحن هنا لا نتمشى مع النظرة الأخيرة التى تنفض يدها من بيان الحكمة فى الصوم ، ولا نريد أن نكرر ما قالوه سابقاً ، ذلك أننا نتجه إلى الآيات القرآنية التى تحدثت عن الصوم ، فنستلهمها الحكمة وفيها ، ولو تأملنا ، الحكمة واضحة ، فى تعبير غاية فى الدقة ، يقول الله تعالى :

(يأيها الذين آمنوا ، كتب عليكم الصيام ، كما كتب على الذين من قبلكم ، لعلكم تتقون) .

فى هذه الآية ، يحدثنا الله ، سبحانه وتعالى ، أنه كتب علينا الصوم وفرضه ، لغاية معينة ، ذكرها فى قوله :

(لعلكم تتقون) .

وعبر القرآن بكلمة : « لعل » ولم يقطع ولم يجزم بأن ثمرة الصوم

لا محالة ، تحقق التقوى ، لأن الصوم : يعد ثمرة التقوى للصائم .

إنه إعداد وتهيئة ، إن مثله - بالنسبة للصائم - كمثل زارع ، تعد له الأرض وتهيأ ، وتعطى له محروثة ، لا حشائش فيها مهيأة تمام التهيئة ، وما عليه إلا أن يتصرف حسبما يريد ، فإن شاء ألقى فيها البذر ، ثم تركه يذبل ويموت ، وإن شاء تركها مهملة ، تنمو فيها الحشائش الخبيثة من جديد ، وتعود تربة غير صالحة ، وإن شاء ألقى فيها البذر وتعهده ، حتى يترعرع ويستوى على سوقه ، ويؤتى أكله .

كل هذا منطو فى كلمة : (لعلكم تتقون) .

فإذا ما تعهد الإنسان نفسه ، التى أعدت بالصوم ، وانتهى إلى التقوى ، كان جزاؤه ، حقيقة عند الله ، عظيماً .

ومن هنا مفتاح فهم الأحاديث التى رويت فى الصوم والتى لا تفهم فهماً حقيقياً إلا إذا راعينا أن الصائم ، يتعهد نفسه التى مهدت وأعدت بالصوم .

طلب أبو أمامة من رسول الله ، ﷺ ، يوماً أن يأمره بعمل ينفعه الله ، تعالى ، به فقال ﷺ :

« عليك بالصوم ، فإنه لا عدل له ، فكرر له أبو أمامة الطلب ، فقال ﷺ : « عليك بالصوم ، فإنه لا مثل له » وطلب أبو أمامة ، للمرة الثالثة نفس الطلب فقال عليه الصلاة والسلام ، أيضا نفس ما قاله فى المرة الثانية » .

ولا شك ، أن الصوم ، لا عدل له ، ولا مثيل له ، فى تهيئة النفوس للتقوى ، ومن انتهى بهذه التهيئة إلى غايتها ، « وصام رمضان إيمانا واحتساباً : غفر له ما تقدم به ذنبه » .

ومن هنا كان المعنى العميق ، للحديث المشهور :

«كل عمل ابن آدم : الحسنة بعشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف ، قال الله تعالى : إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به » .

وهذا الحديث رواه البخارى ومسلم وبقية الكتب الستة ، وهو متناسق مع حديث آخر قدسى ، رواه البخارى وغيره :

«كل عمل ابن آدم له : إلا الصوم ، فإنه لى وأنا أجزى به » .

وقد فهم الناس أن الله ، يجازى على الصوم ، باستمرار ، جزاء يزيد على سبعمائة ضعف ، وهذا صحيح فيما يتعلق بمن تعهد نفسه واتقى ، أما من لم يتعهد نفسه ، ولم يتق ، فتصدق فيه الأحاديث الأخرى ، التى لا تفهم فهماً صحيحاً إلا على ضوء ما قدمنا ، يقول الرسول ، ﷺ :

«كم من صائم ، ليس له من صومه إلا الجوع والعطش »

رواه النسائى وابن ماجه .

ويقول ، ﷺ :

« من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » رواه البخارى .

ولا ينتهى الصوم إلى ثمرته التى أرادها الله منه ، إلا إذا صدقت النية ، وقويت العزيمة ، و : « صام الإنسان إيماناً واحتساباً » أى : صام على التصديق والرغبة ، طيبة بالصوم نفسه غير كاره ولا مستثقل لأيامه ، وصام طلباً لوجه الله تعالى ، وصدقت نيته فى النجاة واستشرفت نفسه لرضوان الله .

وإذا ما توفر كل ذلك تحقق كل ما قاله السابقون والمعاصرون فى فائدة الصيام ، أما بغير ذلك فليس للصوم من فائدة ، إلا الجوع والعطش ، عافانا الله من ذلك .

حكمة الصوم من جديد

يقول الله تعالى :

(يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) .

وإن القيم الروحية فى الصوم لتتركز أسساً ومبادئ فى هذه الكلمة التى ختم الله بها سبحانه الآية الكريمة وهى :

(لعلكم تتقون) .

فالتقوى تتألف من عنصرين : عنصر إيجابى هو القيام بما أمر الله سبحانه به من فروض وواجبات فى القول كالأمر بالمعروف والنهى عن

المنكر الذى كان مع الإيمان مناط خيرية الأمة الإسلامية .

يقول تعالى :

(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله) .

وكذلك القيام بما أمر الله سبحانه به فى العمل كالصلاة على وجهها الصادق الذى يترتب عليه الانتهاء عن الفحشاء والمنكر .

أما العنصر الثانى من عناصر التقوى ، فإنه الانتهاء عما نهى الله سبحانه وتعالى عنه فى القول : كالغيبة التى يمثل الله فاعلها بمن يأكل لحم أخيه ميتاً ، وكالكذب بجيمع ألوانه :

يقول الله تعالى :

(يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) ،

والانتهاء كذلك فى الفعل عما نهى الله عنه مثل الغش فى المكاييل والموازين الذى يقول الله سبحانه فيه :

(ويل للمطففين . الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ، ليوم عظيم . يوم يقوم الناس لرب العالمين ؟) .

هذا الغش الذى كان من الأسباب التى من أجلها دمر الله أمة من الأمم .

يقول الله تعالى فى سورة هود :

(وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، ولا تنقصوا المكيال والميزان ، إنى أراكم بخير ، وإنى أخاف عليكم عذاب يوم محيط . ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين . بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين . وما أنا عليكم بحفيظ) .

ولكن أهل مدين لم يستجيبوا لشعيب وسخروا به ، ولم يجد فيهم أسلوب الرغبة أو الرهبة ، فكانت النتيجة ما عبر الله سبحانه وتعالى عنه بقوله :

(ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين . كأن لم يغنوا فيها ، ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود) .

فإذا تحققت التقوى بالصوم ، فقد تحققت القيم الروحية التى أحبها الله سبحانه للصائم يقول رسول الله ﷺ :

« إنما الصوم جنة ، فإذا كان أحدكم صائماً ، فلا يرفث ، ولا يجهل ، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل : إنى صائم ، إنى صائم » .

وفى هذا الحديث الشريف يبين رسول الله ﷺ ، ما ينبغى

للصائم ، وهو أن يكون صومه جنة ، أى وقاية له : وقاية عن إهمال ما أمر الله به ، ووقاية عن إتيان ما نهى الله عنه :

إنه وقاية عن ذلك فى القول ، فإنه ينبغى للصائم ألا يتحدث بأسلوب لا يحبه الله سبحانه ، وهذا معنى قوله ﷺ : (فلا يرفث) هذا فى القول .

أما ما ينبغى فى الفعل فقد عبر رسول الله ﷺ ، عنه بهذه الكلمة الجامعة :

« ولا يجهل » أى لا يتعد حدود الفعل الذى أحبه الله ، ثم ذكر رسول الله ﷺ ، مثالا لذلك بقوله :

(وإن امرؤ قاتله أو شاتمه ، فليقل : إنى صائم ، إنى صائم .) .

شهر عظيم

حينما كان يهل شهر رمضان كان رسول الله ﷺ ، يخطب فى المسلمين خطبة يبين فيها فضل هذا الشهر المبارك .

فعن سلمان رضى الله عنه قال : خطبنا رسول الله ﷺ ، فى آخر يوم من شعبان قال : .

« يأيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك ، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر ، شهر جعل الله صيامه فريضة ، وقيامه تطوعاً ، من تقرب

فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ، وشهر المواساة وشهر يزاد فى رزق المؤمن فيه ، من فطر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه ، وعتق رقبته من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء .

قالوا يارسول الله ، ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم ، فقال رسول الله ﷺ :

يعطى الله هذا الثواب من فطر صائماً على تمرة أو على شربة ماء أو مذقة لبن وهو شهر أوله رحمة : وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار ، من خفف عن مملوكه فيه غفر الله له وعتقه من النار ، فاستكثروا فيه من أربع خصال : خصلتين ترضون بهما ربكم ، وخصلتين لا غناء بكم عنهما ، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم .

فشهادة أن لا إله إلا الله ، وتستغفرونه ، وأما الخصلتان اللتان لا غناء بكم عنهما : فتسألون الله الجنة ، وتعوذون به من النار .

ومن سقى صائماً سقاه الله من حوضى شربة لا يظمأ [١] حتى يدخل الجنة » .

رواه ابن خزيمة فى صحيحه .

ثم قال : صح الخبر .

---

(١) أى أن الله سبحانه وتعالى ييسر له دائماً الرأى فى سهولة ، فلا يأتى عليه ظرف يكون فيه فى أزمة لشدة الظمأ .

كل عمل ابن آدم له إلا الصوم

عن أبي هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ :

قال الله عز وجل :

كل عمل ابن آدم له ، إلا الصوم ، فإنه لى وأنا أجزى به .

والصيام جنة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فإن سابه أحد ، أو قاتله ، فليقل : إنى صائم إنى صائم .

والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب من ريح المسك .

للصائم فرحتان يفرحهما : « إذا أفطر فرح بفطره ، وإذا لقى ربه فرح بصومه » رواه البخارى .

الرفث – بفتح الراء والفاء : يطلق ويراد به الجماع . ويطلق ويراد به الفحش ، ويطلق ويراد به خطاب الرجل المرأة فيما يتعلق بالجماع [1] .

وقال كثير من العلماء :

إن المراد به فى هذا الحديث الفحش وردىء الكلام .

والجنة بضم الجيم هو ما يجنك . أى يسترك ويقيك مما تخاف ، ومعنى الحديث : أن الصوم يستر صاحبه ، ويحفظه من الوقوع فى المعاصى .

---

(١) الحديث الشريف والشرح عن كتاب « الترغيب والترهيب » .

وسئل سفيان بن عيينة عن قوله تعالى :

« كل عمل ابن آدم له إلا الصوم ، فإنه لى » فقال : إذا كان يوم القيامة يحاسب الله عز وجل عبده ، ويؤدى ما عليه من المظالم من سائر عمله حتى لا يبقى إلا الصوم فيتحمل الله ما بقى عليه من المظالم ، ويدخله بالصوم الجنة .

الصوم لى وأنا أجزى به

قال الشيخ [1] ، رحمه الله : روى عن النبي ﷺ ، أنه قال : يقول الله تبارك وتعالى : « الصوم لى وأنا أجزى به »

فإن قال قائل : ما معنى تخصيص الصوم من بين سائر العبادات ، وقد علمنا أن جميع الأعمال له ، وهو يجزى به ، فما معنى قوله : « الصوم لى وأنا أجزى به » ؟

فيقال : له معنيان : أحدهما : أن للصوم تخصيصاً من بين سائر العبادات المفترضات ، لأن جميع المفترضات حركات جوارح ، يتهيأ للخلق أن ينظروا إليه إلا الصوم ، فإنه عبادة بغير حركة الجوارح .

فمن أجل ذلك قال تعالى : « الصوم لى ».

والمعنى الآخر فى قوله : « لى » بمعنى أن الصمدية لى : لأن

(١) صاحب كتاب اللمع فى التصوف .

« الصمد » هو الذى لا جوف له ، ولا يحتاج إلى الطعام والشراب (فمن تخلق بأخلاقى أجزيه مالا يخطر على قلب بشر) .

وأما معنى قوله : « وأنا أجزى به » . فإن الله تعالى ، وعد على (جميع) فعل الحسنات الثواب المعدود من الواحدة إلى عشر أمثالها (إلى العشرة) إلى السبعمائة إلا الصائمين و « الصائمون » : هم الصابرون .

(وقد) قال الله عز وجل :

(إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) [1] .

فخرج الصوم من الحسنات المعدودة وثوابها ، لأن الصوم هو : صبر النفس عن مألوفاتها ، وإمساك الجوارح عن جميع شهواتها ، والصائمون هم الصابرون .

وقد روى فى معنى ذلك عن النبى ﷺ ، أنه قال :

« إذا صمت فليصم سمعك ، وبصرك ، ولسانك ، ويدك » .

وقد روى عنه عليه الصلاة والسلام ، أنه قال :

« إذا صام أحدكم فلا يرفث ولا يفسق ، فإن شتمه إنسان فليقل : إنى صائم » .

وصحة الصوم وحسن أدب الصائم فى صومه ، صحة مقاصده ، ومباينة شهواته ، وحفظ جوارحه وصفاء مطعمه ورعاية قلبه ، ودوام

---

(١) سورة الزمر : آية ١٠ .

ذكره ، وقلة اهتمامه بالمضمون من رزقه ، وقلة ملاحظته لصومه ، ووجله من تقصيره ، والاستعانة بالله تعالى على تأديته ، فذلك أدب الصائم فى صومه » .

هل من تائب

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، عن رسول الله ﷺ ، قال :

« إذا كان أول ليلة من شهر رمضان ، فتحت أبواب الجنان فلم يغلق منها باب واحد الشهر كله ، وغلقت أبواب النار ، فلم يفتح منها باب الشهر كله ، وتململت عتاة الجن ، ونادى مناد من السماء كل ليلة إلى انفجار الصبح ، يا باغى الخير يمم وأبشر ، ويا باغى الشر أقصر وأبصر ، هل من مستغفر يغفر له ؟ هل من تائب يتوب الله عليه ؟ هل من داع يستجاب له ؟ هل من سائل يعطى سؤله ؟

ولله عز وجل عند كل فطر من شهر رمضان كل ليلة عتقاء من النار ستون ألفاً ، فإذا كان يوم الفطر أعتق الله مثل ما أعتق فى جميع الشهر ثلاثين مرة ستين ألفا ستين ألفا » [1].

---

(١) رواه البيهقى

أبواب الرحمة فى شهر رمضان

عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :

« إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة ، وغلقت أبواب النار ، وصفدت الشياطين » [١] وفى رواية لمسلم : فتحت أبواب الرحمة ، وغلقت أبواب جهنم ، وسلسلت الشياطين » .

رواه الترمذى ، وابن ماجه ، وابن خزيمة فى صحيحه ، والبيهقى ، كلهم من رواية أبى بكر بن عباس عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة ولفظهم قال :

« إذا كان أول ليلة من شهر مضان صفدت الشياطين ، ومردة الجن » .

وقال ابن خزيمة :

« الشياطين مردة الجن » بغير واد ، « وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب ، وفتحت أبواب الجنة ، فلم يغلق منها باب ، وينادى مناد :

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

يا باغى الخير أقبل ، ويا باغى الشر أقصر ، ولله عتقاء من النار ، وذلك كل ليلة »[1] .

باب الريان

عن سهل بن سعد رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ ، قال : « إن فى الجنة بابا يقال له الريان ، يدخل منه الصائمون يوم القيامة ، لا يدخل منه أحد غيرهم فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد »[2] .

من لا ترد دعوتهم :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حتى يفطر ، والإمام العادل ، ودعوة المظلوم ، يرفعها الله فوق الغمام ، ويفتح لها أبواب السماء ، ويقول الرب :

وعزتى لأنصرنك ولو بعد حين » .

رواه أحمد فى حديث ، والترمذى وحسنه ، وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما ، والبزار ولفظه :

« ثلاثة حق على الله ألا يرد لهم دعوة : الصائم حتى يفطر ، والمظلوم

---

(١) رواه النسائى ، والحاكم ، بنحو هذا اللفظ ، وقال الحاكم : صحيح على شرطها . « صفدت » بضم الصاد ، وتشديد الفاء : أى شدت بالأغلال .

(٢) رواه البخارى .

حتى ينتصر ، والمسافر حتى يرجع » .

وعن كعب بن عجرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« احضروا المنبر ، فحضرنا ، فلما ارتقى درجة قال : آمين ، فلما ارتقى الدرجة الثانية قال : آمين ، فلما ارتقى الدرجة الثالثة ، قال : آمين .

فلما نزل ، قلنا يا رسول الله ! لقد سمعنا منك اليوم . شيئا ما كنا نسمعه ، قال :

إن جبريل عليه السلام ، عرض لى فقال :

بعد من أدرك رمضان فلم يغفر له ، قلت : آمين .

فلما رقيت الثانية قال :

بعد من ذكرت عنده فلم يصل عليك ، فقلت : آمين .

فلما رقيت الثالثة ، قال :

بعد من أدرك أبويه الكبر عنده أو أحدهما ، فلم يدخلاه الجنة ، قلت : آمين » (١) .

صيام رمضان فرض وقيامه سنة :

فى رواية للنسائى ، أن رسول الله ﷺ ، قال :

« إن الله فرض صيام رمضان ، وسننت لكم قيامه ، فمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » . .

---

(١) رواه الحاكم ، وقال صحيح الإسناد .

رمضان ومغفرة الذنوب .

لقد كان رسول الله ﷺ ، يرغب فى قيام رمضان من غير أن يأمرهم بعزيمة ثم يقول :

« من قام رمضان إيماناً واحتساباً ، غفر له ما تقدم من ذنبه » (١) .

معنى إيمانا واحتساباً :

قال الخطابى : قوله : « إيماناً واحتسابا » أى نية وعزيمة ، وهو أن يصومه على التصديق ، والرغبة فى ثوابه طيبة به نفسه ، غير كاره له ، ولا مستثقل لصيامه ولا مستطيل لأيامه ، لكن يغتنم طول أيامه لعظم الثواب .

وقال البغوى : قوله : « احتساباً » أى طلباً لوجه الله تعالى وثوابه ، يقال : فلان يحتسب الأخبار ، ويتحسبها : أى يتطلبها .

ومما هو داخل فى « إيماناً واحتساباً » :

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ ، قال : « من صام رمضان وعرف حدوده ، وتحفظ مما ينبغى له أن يتحفظ ، كفر ما قبله » (٢) .

---

(١) رواه البخارى ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى والنسائى

(٢) رواه ابن حبان فى صحيحه ، والبيهقى

الصيام جنة :

روى عن النبي ﷺ قال :

« الصيام جنة ، وحصن حصين من النار »[1] .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه ، أن النبي ﷺ قال له :

« ألا أدلك على أبواب الخير؟ قلت : بلى يا رسول الله ، قال :

« الصوم جنة ، والصدقة تطفئ الخطيئة . كما يطفىء الماء النار » .

من ثمار الصيام والقرآن :

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال :

« الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام :

أى رب * منعته الطعام والشهوة ، فشفعنى فيه .

ويقول القرآن :

منعته النوم بالليل ، فشفعنى فيه .

قال : فيشفعان » .

رواه ابن أبي الدنيا فى كتاب الجوع وغيره بإسناد حسن ، والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم .

رواه أحمد والطبرانى فى الكبير ، ورجاله محتج بهم فى الصحيح .

---

(١) رواه أحمد بإسناد حسن

الفصل الثالث

الصيام

شروط ، واجبات ، منهيات ، سنن ، مباحات

شروط الصيام الصحيح

شروط الصيام الصحيح : الإمساك عن إيصال شيء إلى الجوف عمداً ، مع ذكرِ الصوم ، فيفسد بالأكل والشرب عمداً .

أما إذا أكل أو شرب ناسياً فلا يفسد ذلك صومه .

وكذلك الإمساك عن الناحية الجنسية .

هذه هى شروط الصيام الصحيح من الناحية المادية ، وهى على كل حال تسقط الفرض . بيد أن هذه الشروط مع إسقاطها الفرض . لا تكفى مطلقاً فى نظر الصالحين . وللصالحين شروط أخرى ، منها :

١ – غض البصر عما حرم الله تعالى ، يقول الله تعالى :

(قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ، ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها . .) .

ويقول رسول الله ﷺ :

« النظر سهم مسموم من سهام إبليس لعنه الله ، فمن تركها خوفاً من الله آتاه الله عز وجل إيمانا يجد حلاوته فى قلبه » .

٢ – حفظ اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب ، وقد نهى القرآن

عن كل ذلك ، ويقول رسول الله ﷺ ، فيما رواه الشيخان .

« إنما الصوم جنة ، فإذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يجهل ، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إنى صائم إنى صائم » .

٣ – كف السمع عن المحرم حتى لا يدخل فيمن قال الله تعالى فيهم : « سماعون للكذب » .

وبالجملة كف الجوارح كلها عما حرم الله تعالى .

وما من شك فى أن كف الجوارح عما حرم الله تعالى درجة أرقى من درجة مجرد الامتناع عن الأكل والشرب ، والناحية الجنسية .

أما الدرجة العليا فى الصوم : فإنها صوم القلب عما سوى الله سبحانه .

يقول أبو سعيد الخراز :

كل ما فاتك من الله سوى الله يسير ، وكل حظ لك سوى الله قليل .

رمضان وقول الزور :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« من لم يدع قول الزور والعمل به ، والجهل ، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » [1] .

الزور هو الباطل كله ، هو اللهو ، هو العبث هو الإثم بجميع ألوانه :

---

(١) رواه البخارى وأبو داود ، واللفظ له .

إنه الإثم قولا يتمثل فى الغيبة ، والنميمة والكذب ، وغير ذلك من آثام اللسان الذى قالت العرب فيه : « مقتل الرجل بين فكيه » .

وهو الإثم فعلا ويتمثل فى كل ما يأتيه الإنسان من أفعال على خلاف السنن الشرعى ، مما نهى الله سبحانه ورسوله عنه .

وإن من الأوصاف الجميلة التى مدح الله سبحانه وتعالى بها عباد الرحمن الصادقين أنهم لا يشهدون الزور ، وإذا كانوا لا يشهدونه ، ولا يشاهدونه ، فإنهم من باب أولى لا يقولونه ولا يفعلونه ولا يأتونه بوجه من الوجوه .

والحديث الشريف يقول صراحة لهؤلاء الذين ينغمسون فى الزور قولا ، وينغمسون فيه فعلا على خلاف ما أحب الله لعباده وما رضيه للمؤمنين . . يقول لهم :

إن الله لا حاجة له فى أن يدعوا طعامهم وشرابهم مع إتيانهم ما نهى عنه ، أى أنه لا فائدة لهم من ثواب من قبله ، أو من رضى منه ، أو من حب لهم منه ، فإنهم أخلوا بقواعد الثواب ، ومبادىء الرضا ، وأسس المحبة .

وما من شك فى أن الحديث مع هذا دعوة قوية فى توجيه المؤمنين إلى الرجوع إلى الله ، مؤتمرين بأمره ، منتهين عما نهى الله عنه ، تعرضاً للرضا الإلهى ، ورجاء فى قبول الصوم وكسب الثواب .

صوم يوم الشك :

عن عمار بن ياسر رضى الله عنه قال :

« من صام اليوم الذى يشك فيه فقد عصى أبا القاسم » ذكره البخارى تعليقاً ، ووصله الخمسة ، وصححه ابن خزيمة ، وابن حبان اهـ .

تعجيل الفطر :

عن سهل بن سعد رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :

« لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر » . متفق عليه اهـ .

السحور :

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« تسحروا فإن فى السحور بركة » . متفق عليه اهـ .

إن تأخير السحور مستحب : ذكر ذلك رسول الله ﷺ ، بيد أنه ينبغى أن يكون السحور قبل الفجر بوقت كاف .

فإذا استيقظ للسحور متأخراً وأدركه أذان الفجر ، والطعام فى فمه ، فإن الأحوط بالنسبة له أن يمسك عن الطعام إلى نهاية النهار ، ثم يقضى اليوم بعد رمضان ، وذلك أن المؤذنين عادة يتثبتون من حلول الوقت ، فيؤخرون الأذان ولو نصف دقيقة .

ومن أفضل العادات فى رمضان أن يجعل الإنسان مدفع الإمساك حداً فاصلا بين إباحة الأكل والإمساك عنه ، وهو عادة ينطلق قبل الفجر بثلث ساعة

من أكل ناسياً :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من نسى وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه ، فإنما أطعمه الله وسقاه » [1].

وللحاكم : « من أفطر فى رمضان ناسياً ، فلا قضاء عليه ولا كفارة » وهو صحيح . اهـ

القيء :

عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : من ذرعه [2] القيء فلا قضاء عليه ، ومن استقاء فعليه القضاء .

رواه الخمسة وأعله أحمد ، وقواه الدارقطنى . اهـ

---

(١) متفق عليه .

(٢) ذرعه : أى غلبه .

إذا أصبح جنبا :

عن مالك عن سمى ، مولى أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، أنه سمع أبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام يقول :

كنت أنا وأبي عند مروان بن الحكم ، وهو أمير المدينة ، فذكر له أن أبا هريرة يقول :

من أصبح جنباً أفطر ذلك اليوم ، فقال مروان :

أقسمت عليك يا عبد الرحمن لتذهبن إلى أم المؤمنين عائشة وأم سلمة ، فلتسألنهما عن ذلك ، فذهب عبد الرحمن وذهبت معه ، حتى دخلنا على عائشة فسلم عليها ، ثم قال : يأم المؤمنين ! إنا كنا عند مروان بن الحكم ، فذكر له أن أبا هريرة يقول : من أصبح جنباً أفطر ذلك اليوم ، قالت عائشة :

ليس كما قال أبو هريرة يا عبد الرحمن ، أترغب عما كان رسول الله ﷺ يصنع ؟ فقال عبد الرحمن : لا والله .

قالت عائشة : فأشهد على رسول الله ﷺ أنه كان يصبح جنباً من جماع غير احتلام ، ثم يصوم ذلك اليوم .

قال : ثم خرجنا حتى دخلنا على أم سلمة فسألها عن ذلك ، فقالت مثل ما قالت عائشة . قال : فخرجنا حتى جئنا مروان بن الحكم ، فذكر له عبد الرحمن ما قالتا ، فقال مروان : أقسمت عليك يا أبا محمد لتركبن

دابتى ، فإنها بالباب ، فلتذهبن إلى أبى هريرة ، فإنه بأرضه بالعقيق فلتخبرنه ذلك .

فركب عبد الرحمن ، وركبت معه ، حتى أتينا أبا هريرة فتحدث معه عبد الرحمن ساعة .

ثم ذكر له ذلك ، فقال له أبو هريرة :

« لا علم لى بذلك ، إنما أخبر فيه مخبر » .

الاتصال الجنسى فى رمضان :

هذا إذا كان الاتصال الجنسى ليلا ، والله سبحانه وتعالى يقول : (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم) .

أما إذا كان الاتصال الجنسى فى نهار رمضان ، فإنه محرم تحريماً باتاً .

ومن طريف ما يروى فى هذا ، ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه ، قال :

جاء رجل إلى النبى ﷺ ، فقال : هلكت يا رسول الله . قال : وما أهلكك ؟

قال : وقعت على امرأتى فى رمضان ، فقال : هل تجد ما تعتق رقبة ؟

قال : لا . قال : فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟

قال : لا . قال : فهل تجد ما تطعم ستين مسكيناً ؟ قال : لا . ثم

جلس ، فأتى النبي ﷺ بعرق فيه تمر فقال : تصدق بهذا ، فقال : أعلى أفقر منا ؟ فما بين لابتيها أهل بيتَ أحوج إليه منا ، فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه ، ثم قال : اذهب فأطعمه أهلك »(١).

حكم القبلة فى رمضان :

عن مالك ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، أن رجلا قبل امرأته وهو صائم فى رمضان ، فوجد من ذلك وجداً شديداً ، فأرسل امرأته تسأل له عن ذلك ، فدخلت على أم سلمة ، زوج النبي ﷺ ، فذكرت ذلك لها ، فأخبرتها أم سلمة : أن رسول الله ﷺ ، يقبل وهو صائم ، فرجعت فأخبرت زوجها بذلك ، فزاده ذلك شراً . وقال : لسنا مثل رسول الله ﷺ ، الله يحل لرسول الله ﷺ ما شاء . ثم رجعت امرأته إلى أم سلمة فوجدت عندها رسول الله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ :

« ما لهذه المرأة ؟ » فأخبرته أم سلمة ، فقال رسول الله ﷺ : ألا أخبرتها أنى أفعل ذلك ؟ فقالت : قد أخبرتها ، فذهبت إلى زوجها فأخبرته فزاده ذلك شراً . وقال : لسنا مثل رسول الله ﷺ ، الله يحل لرسوله ﷺ ما شاء . فغضب رسول الله ﷺ وقال : « والله إنى لأتقاكم لله ، وأعلمكم بحدوده» .

---

(١) رواه السبعة ، واللفظ لمسلم .

التشديد فى القبلة للصائم :

عن مالك أنه بلغه أن عائشة زوج النبى ﷺ ، كانت إذا ذكرت أن رسول الله ﷺ يقبل وهو صائم ، تقول وأيكم أملك لنفسه من رسول الله ﷺ ؟

قال يحيى : قال مالك : قال هشام بن عروة : قال عروة بن الزبير : لم أر القبلة للصائم تدعو إلى خير.

والرأى الذى نراه هو ما رواه الإمام مالك ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، أن عبد الله بن عباس سئل عن القبلة للصائم ، فأرخص فيها للشيخ ، وكرهها للشاب .

الصيام والسفر :

عن مالك ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، أنه كان يسافر فى رمضان ، ونسافر معه ، فيصوم عروة ، ونفطر نحن فلا يأمرنا بالصيام .

وعن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما ، أن رسول الله ﷺ ، خرج عام الفتح إلى مكة فى رمضان ، فصام حتى بلغ كراع العميم ، فصام الناس ، ثم دعا بقدح من ماء فرفعه ، حتى نظر الناس إليه فشرب ، ثم قيل له بعد ذلك : إن بعض الناس قد صام ، فقال : أولئك العصاة ، أولئك العصاة » .

وفى لفظ : فقيل له :

إن الناس قد شق عليهم الصيام ، وإنما ينتظرون فيما فعلت ، فدعا بقدح من ماء بعد العصر فشرب »[١].

وعن حمزة بن عمرو الأسلمى رضى الله عنه قال : يا رسول الله ، إنى أجد فىّ قوة على الصيام فى السفر ، فهل على جناح ؟

فقال رسول الله ﷺ : هى رخصة من الله ، فمن أخذ بها فحسن ، ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه »[٢] .

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال :

رخص للشيخ الكبير أن يفطر ويطعم عن كل يوم مسكيناً ولا قضاء عليه[٣].

وعن مالك ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، أن حمزة بن عمرو الأسلمى ، قال لرسول الله ﷺ يا رسول الله ، إنى رجل أصوم ، أفأصوم فى السفر؟

فقال له رسول الله ﷺ : إن شئت فصم ، وإن شئت فأفطر.

وعن مالك ، عن حميد الطويل ، عن أنس بن مالك أنه قال :

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم وأصلة فى المتفق عليه من حديث عائشة أن حمزة بن عمرو سأل .

(٣) رواه الدارقطنى والحاكم وصححاه ا هـ .

سافرنا مع رسول الله ﷺ فى رمضان ، فلم يعب الصائم على المفطر ، ولا المفطر على الصائم .

الوصال فى الصيام :

روى الإمام البخارى عن أنس ، رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ قال :

لا تواصلوا ، قالوا : إنك تواصل . قال : لست كأحد منكم ، إنى أبيت أطعم وأسقى .

وفى رواية لهذا الحديث :

« إنى أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى » .

ويرشدنا هذا الحديث الشريف إلى أن الوصال فى الصيام : منهى عنه .

ولكن بعض الصحابة : حاول الوصال ، تأسياً برسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، وألح فى طلب الإذن من رسول الله بذلك ، فأراد صلوات الله وسلامه عليه : أن يقسو عليهم ليزدجروا وكان ذلك فى رمضان ، فواصل بهم يوماً ، ثم يوماً ، ثم رأوا الهلال ، فقال صلوات الله وسلامه عليه : « لو تأخر – أعنى الهلال – لزدتكم » أى : لواصل بهم بعد ذلك يوماً ثالثاً . قال أبو هريرة : وذلك كالتنكيل لهم ، لما أبوا أن ينتهوا عن الوصال ، الوصال إذن لم يضر لأنه نهى تحريم ، إذا أضر

بالإنسان ونهى كراهية إذا لم يضر لأنه وإن لم يضر ، فإنه يبعث فى الإنسان فتوراً عن العمل .

على أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أرخص فى الوصال إلى السحر ، فعنه صلوات الله وسلامه عليه ، أنه قال :

« لا تواصلوا ، فأيكم أراد أن يواصل فليواصل حتى السحر » أى إلى ما قبل الفجر بوقت كاف لتناول الطعام والشراب .

يؤخذ من ذلك : أن الوصال ، خاص بالرسول ، صلوات الله وسلامه عليه .

وأن الترخيص بالوصال فإنما هو إلى السحر فقط .

وأن بعض الصحابة ، رضوان الله عليهم : كانوا يودون أن يواصلوا ولكنهم عدلوا عن ذلك اتباعاً لأمره صلوات الله وسلامه عليه .

وأما الطريقة المثلى : فإنها تعجيل الفطر وتأخير السحور ، كما ورد عن رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه ، من قوله :

لا تزال أمتى بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور .

والإنسان يمكنه – بالرياضة – أن يواصل ثلاثة أيام ، ولكن ذلك فى الإسلام حرام .

من قدم من سفر أو أراده فى رمضان :

عن مالك ، أنه بلغه أن عمر بن الخطاب كان إذا كان فى سفر فى

رمضان فعلم أنه داخل المدينة من أول يومه دخل وهو صائم .

قال يحيى ، قال مالك : من كان فى سفر ، فعلم أنه داخل على أهله من أول يومه ، وطلع له الفجر ، قبل أن يدخل ، دخل وهو صائم .

قال مالك : وإذا أراد أن يخرج فى رمضان فطلع له الفجر وهو بأرضه ، قبل أن يخرج فإنه يصوم ذلك اليوم .

قال مالك فى الرجل يقدم من سفره وهو مفطر ، وامرأته مفطرة ، حين طهرت من حيضها فى رمضان لزوجها أن يصيبها إن شاء .

ستة أيام من شوال :

عن ثوبان رضى الله عنه مولى رسول الله ﷺ : عن رسول الله ﷺ قال :

« من صام ستة أيام بعد الفطر كان تمام السنة من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » .

رواه ابن ماجه والنسائى ولفظه :

جعل الله الحسنة بعشر أمثالها ، فشهر بعشرة أشهر ، وصيام ستة أيام بعد الفطر تمام السنة .

وابن خزيمة فى صحيحه ، ولفظه — وهو رواية النسائى — قال :

« صيام شهر رمضان بعشرة من أشهر ، وصيام ستة أيام بشهرين فذلك صيام السنة » .

وابن حبان فى صحيحه ، ولفظه :

« من صام رمضان ، وستاً من شوال ، فقد صام السنة » .

رواه أحمد والبزار ، والطبرانى من حديث جابر ابن عبد الله .

وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبى ﷺ قال :

« من مات وعليه صيام ، صام عنه وليه » . متفق عليه .

وقال يحيى : سمعت مالكاً يقول فيمن فرق قضاء رمضان ، فليس عليه إعادة وذلك مجزىء عنه ، وأحب ذلك إلى أن يتابعه .

ما يتحلى به الصائم من سلوك :

يتخذ بعض الناس الصوم تعلة يتعللون بها فى أنواع من السلوك لا يحبها الله ورسوله : منها ضيق الخلق الذى يتمثل فى الغضب ، فيتشاحن الموظف مع زملائه ، والعامل فى عمله ، ورب الأسرة فى أسرته ، وهو خلق يبغضه الله ورسوله ، وقد طلب رجل النصيحة مرة من رسول الله ﷺ فقال له : لا « تغضب » . وإن من آثار الصوم الصحيح الصبر ، بل إن الصوم نفسه نوع من الصبر . بل هو نصف الصبر على حد تعبير رسول الله ﷺ ، فإذا لم يتحل الإنسان بالصبر فى رمضان فإن فى صيامه خللا .

والصائم الصادق فرح بصومه ، متفائل به ، راج به المغفرة فإذا تفاءل الصائم بصومه ورجا به المغفرة من الله تحلى بحسن الخلق وبمكارم

الأخلاق ، وقد قال رسول الله ﷺ :
« إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

بعض مالا يفطر الصائم :

يقول النبي ﷺ :
إذا توضأ فليستنشق بمنخره الماء ، ولم يميز بين الصائم وغيره .
وقال الحسن :
لابأس بالسعوط للصائم إن لم يصل إلى حلقه ويكتحل .
وقال عطاء :
إن تمضمض ، ثم أفرغ ما فى فيه من الماء ، لا يضره إن لم يزدرد ريقه ، وماذا يبقى فى فيه ، ولا يمضغ العلك فإذا ازدرد ريق العلك ، لا أقول : إنه يفطر ، ولكن ينهى عنه ، فإن استنثر ، فدخل الماء فى حلقه لا بأس إن لم يملك .
وقال عطاء :
إن استنثر ، فدخل الماء فى حلقه لا بأس إن لم يملك وقال الحسن :
إن دخل حلقه الذباب فلا شىء عليه .
ويغتسل الصائم ، وبل ابن عمر ، رضى الله عنهما ثوباً فألقاه عليه وهو صائم .
ودخل الشعبى الحمام وهو صائم .

وقال ابن عباس : لا بأس أن يتطعم القدر أو الشيء .

وقال الحسن : لا بأس بالمضمضة والتبرد للصائم .

وقال ابن مسعود : إذا كان صوم أحدكم فليصبح دهيناً مترجلا .

وقال أنس : إن لى ابزن (يشبه البانيو للاستحمام) أتقحم فيه وأنا صائم .

ويذكر عن النبي ﷺ ، أنه استاك وهو صائم .

وقال ابن عمر : يستاك أول النهار وآخره ، ولا يبلع ريقه .

وقال عطاء : إذا ازدرد ريقه لا أقول يفطر .

وقال ابن سيرين : لا بأس بالسواك الرطب ، قيل : له طعم ؟ قال : والماء له طعم ، وأنت تمضمض به .

ولم ير أنس ، والحسن ، وإبراهيم بالكحل للصائم بأسا .

الفصل الرابع

سلوك الصالحين فى شهر رمضان

والصالحون دائما يتأسون برسول الله ﷺ :

(لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) .

والتأسي برسول الله ﷺ ، إنما هو اتباع للقرآن ، فلقد كان رسول الله ﷺ ، الصورة الواقعية للقرآن ، لقد كان خلقه القرآن ، كما قالت السيدة عائشة رضوان الله عليها .

وشهر رمضان موسم من أسمى المواسم الروحية ، فى الاتجاه إلى الله سبحانه وتعالى وفى الاندماج فى عباده الصالحين ، والخطوة الأولى فى هذا الطريق واللبنة الأولى فى بناء صرح التقوى ، إنما هى التوبة : إنها أول قدم فى طريق الصلح مع الله ، ولقد دعانا الله سبحانه وتعالى إلى التوبة فى أساليب تأتى تارة رقيقة ، كأرق ما يكون الأسلوب رحيمة تنبض بالرأفة .

« يا عبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفرونى أغفر لكم » [١] .

ولقد عبر رسول الله ﷺ ، عن موقف الله تعالى بالنسبة للتائب بكلمة « الفرح » . إن الله سبحانه وتعالى : يفرح بتوبة عبده المؤمن .

---

(١) وردت هذه العبارة فى حديث قدسى صحيح .

وتارة يدعونا الله سبحانه وتعالى إلى التوبة فى أسلوب رهيب شديد الرهبة .

وقد جمع بين الرحمة والرهبة فى الدعوة إلى التوبة .

(قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم ، وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون . واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله وإن كنت لمن الساخرين ، أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين . أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة فأكون من المحسنين . بلَى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين . ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ، أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين . وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون) [1] .

واختلفت الأساليب فى الدعوة إلى التوبة ، لتتناسب مع مختلف الطبائع والفطر . والصالحون وإن كانوا يتوبون إلى الله تعالى دائماً ، ويرجعون إليه ، فى اليسير من أمرهم ، والعظيم منه ، فإنهم يبدءون شهر رمضان بتجديد العهد مع الله بالتوبة الخالصة النصوح . التوبة التى تكون فيصلا حاسماً ، فى حياة الإنسان ، فيستأنف عهداً مع الله كله

---

(١) سورة الزمر آية : ٥٣ — ٦١

صدق ويبدأ حياة كلها تقوى .

(ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب) .

إن الله سبحانه وتعالى يجعل له مخرجاً من كل ضيق ومن كل أزمة ، يفرج همه ، ويكشف كربه ، ويزيل غمه .

إن كلمة (يجعل له مخرجاً) مطلقة لا يقيدها قيد ولا تحدها حدود ، وشرطها الأساسى : التقوى ، التقوى بمعناها الصادق ، الصحيح المستقيم .

إن الله سبحانه وتعالى بالتقوى ، ييسر له من أمره ما تعسر وهو سبحانه ، بالتقوى ، يرزقه من حيث لا يحتسب ، يرزقه ماديًّا ، ويرزقه روحيًّا ، ويرزقه من حيث يدرى ، ويرزقه من حيث لا يدرى .

إن الصالحين فى ابتداء رمضان يجددون عهدهم مع الله ويلتزمون – بتجديد هذا العهد الصادق – التقوى :

وتتألق تقواهم – تأسياً برسول الله ﷺ فى أمرين :

الأمر الأول :

الإكثار من قراءة القرآن .

والأمر الثانى :

الإكثار من الصدقة .

روى الإمام البخارى والإمام مسلم ، رضى الله عنهما ، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

«كان رسول الله ﷺ ، أجود الناس ، وكان أجود ما يكون فى رمضان ، حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه جبريل فى كل ليلة من رمضان ، فيدارسه القرآن ، فلرسول الله ، ﷺ — حين يلقاه جبريل — أجود بالخير من الريح المرسلة ، وفى هذا الحديث الشريف ربط بين رمضان والقرآن وكثرة الصدقة .

١ — القرآن

القرآن هو دستور المسلمين ، إن قراءته عبادة ، والتفكير فيه عبادة ، واتباعه واجب ، وكلما اقترب الإنسان من تحقيق الأخلاق التى رسمها ، كان أقرب من الله ورسوله ، وأحب إلى الله ورسوله .

يجعله الصالحون شعارهم ، ويجعلونه وردهم ، إنه ربيع قلوبهم الدسم ، وهو الرياض التى تتفتح أزاهيرها لبصيرتهم ، ناضرة يانعة ، إنها تتفتح لهم على الدوام ، فيستمتعون بأريجها العطرى ، وجمالها الرائع ، وروعتها الجميلة .

ولقد وصفه رسول الله ﷺ ، ونذكر روايتين من هذه الأوصاف .

إحداهما هى : ما أسنده أبو بكر محمد بن القاسم ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ :

إن هذا القرآن مأدبة الله ، فتعلموا من مأدبته ما استطعتم إن هذا

القرآن حبل الله ، وهو النور المبين والشفاء النافع عصمة من تمسك به ، ونجاة من اتبعه ، لا يعوج فيقوم ، ولا يزيغ فيستعتب ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات أما أنى لا أقول : ألم حرف ولكن أقول ألف حرف ولام حرف وميم حرف . ولا ألفين أحدكم واضعاً إحدى رجليه يدع أن يقرأ سورة البقرة ، فإن الشيطان يفر من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة ، وإن أصفر البيوت من الخير البيت الصفر من كتاب الله .

أما الثانية : فهى ما أسنده أبو محمد الدارمى السمرقندى فى مسنده عن الحارث عن على رضى الله عنه ، وخرجه الترمذى قال على رضى الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

ستكون فتن كقطع الليل المظلم ، قلت يا رسول الله ! وما المخرج منها ؟ قال كتاب الله تبارك وتعالى ، فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ، ونوره المبين والذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تتشعب معه الآراء ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يمله الأتقياء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً ، من علم علمه سبق ، ومن قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن

عمل به أجر ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم

ولقد علم الصالحون ما رواه الترمذى فى حديث حسن صحيح — عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ :

« من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ، ولام حرف وميم حرف » .

وعلم الصالحون ما رواه البخارى رضى الله عنه ، عن عثمان رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ :

« خيركم من تعلم القرآن وعلمه » .

علم الصالحون ذلك — وفضائل القرآن لا تعد فوطنوا أنفسهم أن يزيد التجاؤهم إلى القرآن فى شهر رمضان .

والقرآن ذكر ، وهو دعاء ، وهو سؤال لله سبحانه وتعالى يتصل بالخير والرحمة والمغفرة ، ورسول الله ﷺ يقول : — فيما رواه الترمذى وحسنه عن أبى سعيد قال — قال رسول الله ﷺ ، يقول الرب تبارك وتعالى :

« من شغله القرآن عن ذكرى ومسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين ، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه » .

ويجب أن يتحدثوا فى القرآن مع غيرهم ، وأن يتدارسوه مع الآخرين ، معلمين أو متعلمين ، وذلك تحقيقاً واتباعاً للحديث الشريف الذى أخرجه الإمام مسلم ، بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ :

« من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر ، يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة ، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن أبطأ به علمه ، لم يسرع به نسبه » .

ولقد وردت أحاديث مختلفة صحيحة وحسنة ، فى فضل آيات وسور معينة ، نذكر منها ما يلى :

قلب القرآن :

عن معقل بن يسار رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :

« قلب القرآن يس ، لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر الله له ، اقرءوها على موتاكم »[1] .

---

(١) رواه أحمد وأبو داود ، والنسائى ، واللفظ له ، وابن ماجه ، والحاكم ، وصححه .

عروس القرآن :

عن على (رضى الله عنه) قال سمعت رسول الله ﷺ يقول :
« لكل شىء عروس وعروس القرآن (الرحمن) [1] »

سورة يحبها رسول الله ﷺ :

عن على (رضى الله عنه) قال : كان رسول الله ﷺ ، يحب هذه السورة « سبح اسم ربك الأعلى » رواه أحمد .

السبع المثانى :

عن أبي سعيد بن المعلى ، قال : كنت أصلى فى المسجد فدعانى النبى ﷺ ، فلم أجبه (حتى صليت) ثم أتيته ، فقلت : يا رسول الله ! إنى كنت أصلى قال : « ألم يقل الله » (استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم) ، ثم قال : ألا أعلمك أعظم سورة فى القرآن قبل أن تخرج من المسجد ؟ فأخذ بيدى ، فلما أردنا أن نخرج قلت : يا رسول الله ! إنك قلت لأعلمنك أعظم سورة من القرآن قال : « الحمد لله رب العالمين » هى السبع المثانى ، والقرآن العظيم الذى أوتيته [2] .

---

(١) من مخطوطة الحاكم

(٢) رواه البخارى

الزهراوان :

عن أبي أمامة قال : سمعت رسول الله ﷺ :

« اقرءوا القرآن » فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه ، اقرءوا الزهراوين ، البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان ، أو غيايتان [1].

أو فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما ، اقرءوا سورة البقرة ، فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة » [2]

آيتان من كنز الله الذى تحت العرش :

عن سيدنا رسول الله ﷺ ، قال :

« إن الله ختم سورة البقرة بآيتين أعطيتهما من كنزه الذى تحت العرش ، فتعلموهن وعلموهن نساكم ، فإنهما صلاة وقربان ودعاء » ، رواه الدارمى مرسلا .

الملائكة تدنو لسماع سورة البقرة :

عن أبي سعيد الخدرى ، أن أسيد بن حضير ، قال :

---

(١) وهى بالياءين ، ما يكون أدون منها بأكتافه ، وأقرب إلى رأس صاحبها .

(٢) رواه مسلم .

بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده إذ جالت الفرس فسكت فسكنت ، ثم قرأ فجالت الفرس ، فسكت فسكنت ، ثم قرأ فجالت وكان ابنه يحيى قريباً منها فانصرف فأخره ثم رفع رأسه إلى السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح ، فلما أصبح حدث النبي ﷺ فقال :

أو تدرى ما ذاك ؟ قال لا ، قال : تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرأت لأصبحت ينظر إليها الناس لا تتوارى منهم »[1].

وتدنو الملائكة لسماع سورة الكهف :

عن البراء قال : كان رجل يقرأ سورة الكهف وإلى جانبه حصان مربوط بشطنين[2] فتغشته سحابة ، فجعلت تدنو وتدنو ، وجعل فرسه ينفر[3] ، فلما أصبح أتى النبي ﷺ ، فذكر ذلك له ، فقال : تلك السكينة ، تنزلت بالقرآن »[4].

---

(١) متفق عليه .

(٢) الشطن : الحبل الطويل الشديد الفتل .

(٣) فى مخطوطة الحاكم : تنفر .

(٤) متفق عليه .

أعظم آية فى كتاب الله :

عن أبى بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ : يأبا المنذر ! أتدرى أى آية من كتاب الله تعالى معك أعظم ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال يأبا المنذر ! أتدرى أى آية من كتاب الله تعالى معك أعظم ؟ قلت : (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) قال : فضرب فى صدرى وقال : ليهنك العلم يأبا المنذر ! [١].

نوران :

عن ابن عباس قال : بينما جبريل عليه السلام قاعد عند النبى ﷺ سمع نقيضاً [٢] من فوقه ، فرفع رأسه فقال :

هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم فنزل منه ملك ، فقال :

هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم فقال :

أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك :

فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة ، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته [٣].

---

(١) رواه مسلم .

(٢) نقيضا : أى صوتا

(٣) رواه مسلم .

صفة الرحمن :

عن عائشة : أن النبى ﷺ ، بعث رجلا على سرية ، وكان يقرأ لأصحابه فى صلاتهم فيختم بـ « قل هو الله أحد » ، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبى ﷺ فقال :

سلوه لأى شىء يصنع ذلك ؟ فسألوه فقال :

لأنها صفة الرحمن ، وأنا أحب أن أقرأها ، فقال النبى ﷺ :

« أخبروه أن الله يحبه »[1] .

سورة تشفع لصاحبها :

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

إن سورة فى القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له وهى :

« تبارك الذى بيده الملك » .

رواه أحمد والترمذى وأبو داود والنسائى ، وابن ماجه ، وإسناده حسن .

سورتان يقرؤهما رسول الله ﷺ قبل نومه :

عن جابر أن النبى ﷺ ، كان لا ينام حتى يقرأ (آلم

---

(١) متفق عليه .

تنزيل) . و (تبارك الذى بيده الملك)[1] .

المعوذتان :

عن عقبة بن عامر : بينما أنا أسير مع رسول الله ﷺ ، بين الجحفة ، والأبواء ، إذ غشيتنا ريح وظلمة شديدة ، فجعل رسول الله ﷺ يتعوذ بـ (أعوذ برب الفلق) و (أعوذ برب الناس) ويقول يا عقبة ! تعوذ بهما فما تعوذ بمثلهما[2] رواه أبو داود .

وبعد :

فإن رسول الله ﷺ يقول : فيما رواه الحاكم وصححه عن عبد الله ابن عمر ، رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال :

« من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه ، غير أنه لا يوحى إليه ، لا ينبغى لصاحب القرآن أن يجد مع من وجد ، ولا يجهل مع من جهل ، وفى جوفه كلام الله »[3] .

---

(١) رواه أحمد والترمذى والدرامى . وقال الترمذى : هذا حديث صحيح .

(٢) إسناده صحيح .

(٣) رواه الحاكم وإسناده صحيح .

٢ - الجود

«كان رسول الله ﷺ ، أجود الناس ، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه جبريل فى كل ليلة من رمضان ، فيدارسه القرآن ، فلرسول الله ﷺ ، حين يلقاه جبريل ، أجود بالخير من الريح المرسلة» .

وفى هذا الحديث الشريف ربط بين رمضان والقرآن وكثرة الصدقة . والواقع ، أن كثرة الصدقة فى رمضان : هى الدليل الواضح ، على أن الصوم وقراءة القرآن قد أثمر الثمرة المرجوة .

أما هذا الذى يصوم رمضان ، ويتلو كتاب الله ، وهو رحمة ونور ، فلا يشرق قلبه بنور الرحمة ، ولا تتألق نفسه بضياء الكرم ، ولم يوق شح نفسه ، فإن ذلك ، إذا دل على شىء ، فإنما يدل على أن وسائل النور هذه لم تتغلغل فى نفسه ، فتصل إلى أعماقها مختلطة بلحمه ودمه ، فتقوده إلى الجود والإحسان . (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) .

وشهر رمضان : من المواسم التى يتضوع فيها الإيمان ويشرق فى النفس ، فتتذكر عهدها مع الله : عهد الإيمان ، فتجود بالنفس فى

سبيله ، إذا لزم الأمر ، والجود بالنفس أسمى غاية الجود ، وتجود بالمال في سبيله مستبشرة بالوفاء بالعهد في صورته الهينة السمحة : إن الصدقة برهان ، على حد أخبار رسول الله ﷺ .

أما الشح المطاع ، فإنه من الثلاث المهلكات ، يقول الله تعالى :

(ومن يوق شح نفسه ، فأولئك هم المفلحون) .

ويقول سبحانه :

(ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله ، هو خيراً لهم ، بل هو شر لهم ، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ، ولله ميراث السموات والأرض ، والله بما تعملون خبير) .

على أن الرجل الذى يتصدق بصدقة ، فلم تعلم شماله ما أعطته يمينه ، داخل نطاق السبعة الذين يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله .

كان ، صلوات الله وسلامه عليه ، يكثر من تلاوة القرآن ، وكان جواداً ، حتى إذا ما أتت العشر الأواخر من رمضان أحيا الليل كله ، وإذا كان يجتهد فى رمضان فى العبادات مالا يجتهد فى غيره ، فإنه فى العشر الأواخر منه ، كان يجتهد مالا يجتهد فى غيرها .

وبعد :

فعن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

« من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ، ولا يقبل الله

إلا الطيب ، فإن الله يتقبلها بيمينه ، ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه ، حتى تكون مثل الجبل »[١].

وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« ما نقصت صدقة من مال (شيئاً) ، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله »[٢].

وعن أبي موسى الأشعري ، قال : قال رسول الله ﷺ :

« عن كل مسلم صدقة . قالوا : فإن لم يجد ؟ قال : فليعمل بيده فينفع نفسه ، ويتصدق . قالوا : فإن لم يستطع ؟ - أو لم يفعل ؟ - قال : فيعين ذا الحاجة الملهوف . قالوا فإن لم يفعل ؟ قال : « فيأمر بالخير » قالوا : فإن لم يفعل ؟ قال : « فيمسك عن الشر » ، فإنه له صدقة »[٣].

وعن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ :

إن بكل تسبيحة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهي عن المنكر صدقة ، وفي بضع أحدكم صدقة » قالوا : يا رسول الله : أيأتي أحدنا شهوته ، ويكون له فيها أجر ؟ قال : أرأيتم لو وضعها في حرام ، أكان عليه وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال ، كان له أجر »[٤].

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه مسلم .

(٣) متفق عليه .

(٤) رواه مسلم .

وعن أنس رضى الله عنه ، قال قال : رسول الله ﷺ :
« ما من مسلم يغرس غرساً ، أو يزرع زرعاً ، فيأكل منه إنسان أو طير أو بهيمة ، إلا كانت له صدقة »[1] .

٣ – قول معروف ومغفرة

يقول الله تعالى فى سورة البقرة (قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى ، والله غنى حليم) . وردت هذه الآية الكريمة ضمن آيات عدة تحث على الصدقة وتذكر آدابها وثمراتها ، وقد بدأ الله سبحانه ، هذه الآيات بذكر ثمرات التصدق فى سبيل الله : ترغيبا فى الصدقة من أول الأمر فمثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيله سبحانه ، كمثل حبة غرست فى الأرض فنبتت وأينعت وأثمرت سبع سنابل ، ممتلئة موفورة فى كل سنبلة مائة حبة ، ويشير الله بذلك إلى أجر المتصدق ومقدار ما يخلفه الله عليه جزاء صدقته ، هذا الأجر الذى يتضاعف فيصل إلى سبعمائة مثل ولكنه لا يقتصر على ذلك فإنه بمقدار إخلاص المتصدق يضاعف الله له الأجر إذا شاء وإن فضل الله لأوسع من أن يضيق بمنح الأضعاف المضاعفة وهو سبحانه ، عليم بمن يستحق ذلك من المخلصين .

وبعد ذلك تتعرض الآيات لبعض شروط الصدقة المقبولة . فمن

---

(١) متفق عليه .

ذلك أنه سبحانه ، لا يقبلها من هؤلاء الذين يتبعونها بالمن . والمن أن يعتد المتصدق ويفتخر بإحسانه على من أحسن إليه فيقول مثلا : أنا أحسنت إليه فى كذا ، وفى كذا ، وأنا فعلت معه هذا وذاك . يريد بذلك إظهار فضله عليه . ومن ذلك أيضاً أنه سبحانه ، لا يقبلها ممن يتبعها بالأذى .

والأذى أن يتطاول المنفق على من أنفق عليه بالكلام أو بغيره . أما الذين لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى فإن أجرهم عند الله سبحانه ، جزيل . ومن أجل إبعاد المتصدقين عن أن يقعوا فيما يتصل بالمن والأذى من قرب . أو من بعد ، أفاض سلفنا الصالح فى الحديث عما يمكن أن يكون مناً أو أذى فقالوا : المن أن يستخدمه بالعطاء والأذى أن يعيره بالفقر ، وقالوا المن أن يتكبر عليه لأجل عطائه ، والأذى أن ينتهره ويوبخه بالمسألة ، وقد قال الإمام الفقيه سفيان الثورى مَنْ منَّ فسدت صدقته ، فقيل له كيف المن ؟ فقال : أن يذكره ويتحدث به أى يذكر صدقته ويتحدث بها .

ولقد كان سلفنا الصالح دقيقاً فى هذه المعانى حتى لقد قال زيد بن أسلم رضى الله عنه : إذا أعطيت أحداً شيئاً وظننت أن سلامك يثقل عليه فكف سلامك عنه . على أن الكلام الحسن والرد الجميل على السائل ، والبشاشة فى وجهه والتجاوز عن إلحافه ومغفرة ذلك له ، وكلها أمور سهلة التحقيق خير عند الله وأفضل من صدقة يتبعها منٌّ أو

أذى للسائل . والدين الإسلامى دين يحافظ على كرامة الفرد محافظة تامة مادام الفرد محافظاً على حدود الدين وآدابه لا يجاوزها . وهو وإن حث على الصدقة والإنفاق فليس معنى ذلك الحط من قيمة الفقير . بل إنه مما يؤثر عن رسول الله ﷺ أنه قال : ما الذى أعطى من سعة بأفضل أجراً من الذى يقبل من حاجة .

ويروى أيضاً أنه قال ما معناه : إن الصدقة تقع فى يد الله قبل أن تقع فى يد الفقير . على أن الصدقة فى الجو الإسلامى إنما تفيد المتصدق أكثر مما تفيد الآخذ ذلك أن فائدتها للآخذ تكاد تكون فائدة ، مادية وحسب . إنها بالنسبة له لا تعدو أن تكون علاجاً للجوع أما بالنسبة للمعطى فإنها تفيده فى الدنيا ، وتفيده فى الآخرة . أما فائدتها فى الدنيا فإن الله سبحانه يخلف عليه لا بالمثل فحسب بل بأضعاف مضاعفة . ويقول الله تعالى :

(وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه) ، والصدقة دواء من المرض يقول صلوات الله عليه « داووا مرضاكم بالصدقات » . ويقول صلوات الله عليه فى إجمال ، وفى شمول : الصدقة تسد سبعين باباً من الشر . أما فائدة الصدقة فى الآخرة فإنها كما يقول صلوات الله عليه : « تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار » . ويقول صلوات الله عليه : « اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة » . ومن أجل فائدتها دنيا وأخرى كان سلفنا الصالح رضوان الله عليهم عندهم شعور مرهف ، وإحساس

دقيق ، واندفاع إلى الخير فى صورة الصدقة ، فلقد تصدقت عائشة رضوان الله عليها ، بخمسين ألفاً وإن ثيابها لمرقعة . ولقد كانت رضوان الله عليها ، كغيرها من فضليات ذاك العهد الكريم إذا أرسلت صدقة إلى فقير قالت لمن ترسله بالصدقة : احفظ ما يدعو به ثم كانت ترد عليه مثل قوله فتدعو له بمثل ما دعا لها وتقول هذا بذلك حتى تخلص لنا صدقتنا ، وكانت لا تتوقع الدعاء لأنه شبه المكافأة وكانت تقابل الدعاء بمثله ولقد عرفوا رضوان الله عليهم قيمة الصدقة عند الله ، وقيمتها فى سبيل القرب منه سبحانه . يقول سيدنا عمر بن عبد العزيز واصفاً فضل العبادات فى التقريب من الله : الصلاة تبلغك نصف الطريق ، والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه ، عرفوا ذلك فتنافسوا فى البذل والإنفاق والتزموا حدود الآداب التى يحبها الله سبحانه من المنفق ، وذلك أن يعتقدوا أن الفقير فضلاء عليهم فى تطهير أموالهم ، وفى تزكية نفوسهم ، وفى وضعهم موضع القبول والرضا من الله سبحانه وتغالى فابتعدوا كل البعد عن إيذاء الفقراء على أى وضع من الأوضاع ، وإذا لم يكن عندهم ما يهدونه إلى الفقير قالوا له قولا معروفاً ، وإذا ألحف غفروا له إلحافه ، وإذا فاه ببعض ألفاظ لما يجد من الضيق الذى يحيط به عفوا عنه .

وبعد :

فإن أسلافنا ممن أنار الله بصائرهم كانوا يتبعون الهدى الإسلامى فى أموالهم .

إن هذه الأموال اشتراها الله منا فى عقد الإيمان بثمن هو الجنة :

(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم ، وأموالهم بأن لهم الجنة) ، فالمال مال الله والله سبحانه استخلفنا عليه ثم أمرنا بأن ننفق منه فى سبيله وعلى عياله أى الفقراء مما استخلفنا فيه :

(وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) .

وهو سبحانه المعطى المال فالفضل منه وإليه ولو شاء لأغنى الفقراء . ولكنه سبحانه فتح أمام الأغنياء بالصدقة باباً هو الصدق فى الإيمان حتى تكمل نفوسهم وتزكو فيرضى عنهم ويدخلهم فى رحاب رحمته ورضوانه .

الفصل الخامس

الذكر والدعاء فى شهر رمضان

١ – فى الذكر

إن شهر رمضان موسم من أنسب المواسم – إن لم يكن أنسبها – للذكر ، ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى من حكمة فرضه : التقوى كما قال تعالى :

(يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) .

وختم الله سبحانه آيات الصيام بقوله :

(كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون) .

ولقد ورد الأمر بالتقوى كثيراً فى القرآن الكريم وفى السنة النبوية الشريفة . يقول تعالى :

(يأيها الذين آمنو اتقوا الله حق تقاته) .

ولقد سئل الصحابى الجليل أبى بن كعب عن التقوى ، فقال للسائل :

أما سلكت طريقاً ذا شوك ؟

قال : بلى

قال : فما عملت ؟

قال : شمرت واجتهدت

قال : فذلك التقوى

أى أن التقوى تشمير واجتهاد فى الطاعات ، وحذر وتحر واتقاء لكل ما لا يرضى الله ورسوله ، إنها التزام النهج الربانى فى كل ما يأتى الإنسان وفى كل ما يدع ، إنها التزام ما رسم الله فى القول والصمت ، فى الغضب والرضا ، فى الغنى والفقر ، فى الصحة والمرض ، فى الحركة والسكون .

وقد فرض الله سبحانه وتعالى الصوم ليحقق الإنسان التقوى ويتحقق بها .

فإذا التزم الإنسان التقوى ، فإن الله سبحانه وتعالى يجعل له من كل ضيق فرجاً ، ومن كل هم مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ، يقول سبحانه :

(ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب) [1] .

وإن مما يعين على التقوى وهو فى الوقت نفسه من ثمار التقوى : الذكر .

وقد حثنا الله سبحانه على الذكر فى أسلوب أمر ، يقول سبحانه : (يأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً) .

---

(١) سورة الطلاق : آية ٣،٢ .

وقال :

(واذكر ربك فى نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال [1] ولا تكن من الغافلين) .

وحثنا سبحانه على الذكر فى أسلوب أخاذ ، يقول سبحانه : (فاذكرونى أذكركم) .

ولقد أخرج الإمام البخارى ، رضى الله عنه ، من حديث قتادة ، عن رسول الله ﷺ ، فيما يرويه عن ربه قال : قال الله عز وجل : (يا ابن آدم ، إن ذكرتنى فى نفسك ذكرتك فى نفسى ، وإن ذكرتنى فى ملأ ذكرتك فى ملأ خير منه ، وإن دنوت منى شبراً دنوت منك ذراعاً ، وإن دنوت منى ذراعاً دنوت منك باعاً ، وإن أتيتنى تمشى أتيتك هرولة » .

ومن السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله : رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه من خشية الله .

وروى البيهقى فى الشعب من حديث عمر بن الخطاب : قال الله عز وجل « من شغله ذكرى عن مسألتى ، أعطيته أفضل ما أعطى السائلين » .

وقال رسول الله ، ﷺ ، فيما رواه الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة :

---

(١) الآصال جمع أصيل وهو ما بين العصر والمغرب .

« ما جلس قوم مجلساً يذكرون الله عز وجل ، إلا حفت بهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، وذكرهم الله تعالى فيمن عنده » .

وعن أبي هريره رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يقول الله : « أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه إذا ذكرنى ، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه ، وإن تقرب إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلىّ ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإن أتانى يمشى أتيته هرولة »[1] .

وعن معاذ بن أنس رضى الله عنه : قال رسول الله ﷺ : قال الله جل ذكره : « لا يذكرنى عبد فى نفسه إلا ذكرته فى ملأ من ملائكتى ، ولا يذكرنى فى ملأ إلا ذكرته فى الملأ الأعلى »[2] .

وعن عبد الله بن بسر رضى الله عنه ، أن رجلا قال : يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت على فأخبرنى بشىء أتشبث به ، قال : « لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله »[3] .

وعن مالك بن يخامر أن معاذ بن جبل ، رضى الله عنه ، قال لهم :

---

(١) رواه البخارى ومسلم ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه ، ورواه أحمد بنحوه بإسناد صحيح ، وزاد فى آخره قال قتادة : « والله أسرع بالمغفرة » .

(٢) رواه الطبرانى بإسناد حسن .

(٣) رواه الترمذى واللفظ له وقال : حديث حسن غريب وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال صحيح الإسناد .

إن آخر كلام فارقت عليه رسول الله ، ﷺ ، أن قلت : أى الأعمال أحب إلى الله ؟ قال : « أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله » (١) .

وعن أبي موسى رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مثل الذى يذكر الله ، والذى لا يذكر الله ، مثل الحى والميت » (٢).

وعن أبي هريرة ، رضى الله عنه ، قال :

كان رسول الله ، ﷺ ، يسير فى طريق مكة ، فمر على جبل يقال له جمدان ، فقال :

« سيروا هذا جمدان ، سبق المفردون »

قالوا : وما المفردون يا رسول الله ؟

قال : « الذاكرون الله كثيرا » (٣) .

وعن أم أنس رضى الله عنها قالت : يا رسول الله أوصنى . قال : « اهجرى المعاصى ، فإنها أفضل الهجرة ، وحافظى على الفرائض ،

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا والصيرافى ، واللفظ له ، والبزار إلا أنه قال : أخبرنى بأفضل الأعمال ، وأقربها إلى الله ، وابن حبان فى صحيحه .

(٢) رواه البخارى ومسلم ، إلا أنه قال : « مثل البيت الذى يذكر الله فيه » .

(٣) رواه مسلم واللفظ له ، والترمذى . ولفظ : يا رسول الله ، وما المفردون ؟

فإنها أفضل الجهاد ، وأكثرى من ذكر الله ، فإنك لا تأتين الله بشىء أحب إليه من كثرة ذكره » [1].

وفى رواية لهما عن أم أنس :

« واذكرى الله كثيراً ، فإنه أحب الأعمال إلى الله أن تلقاه بها » [2]

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه ، أن رسول الله، ﷺ قال :

« إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا » .

قالوا : وما رياض الجنة ؟

قال : « حلق الذكر » .

وعن أبى هريرة ، رضى الله عنه أن رسول الله ، ﷺ ، قال :

من جلس مجلساً كثر فيه لغطه ، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك : سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك ، إلا غفر له ما كان فى مجلسه – رواه : أبو داود والترمذى .

وأفضل الذكر إنما هو التعبد بتلاوة القرآن ، ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يكثرون من تلاوته تعبداً به وكانوا يقسمونه أقساماً :

---

(١) رواه الطبرانى بإسناد جيد .

(٢) قال الطبرانى : أم أنس هذه يعنى الثانية – ليست أم أنس بن مالك .

● **لقد كان القرآن لهم حزباً :**

وأول[1] ما يرجع إليه فى التقديرات قول رسول الله ﷺ « من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث لم يفقهه » وذلك لأن الزيادة عليه تمنعه الترتيل ، وقد قالت عائشة رضى الله عنها لما سمعت رجلا يهذر القرآن هذراً ، إن هذا ما قرأ القرآن ولا سكت وأمر النبى ﷺ عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن يختم القرآن فى كل سبع » وكذلك كان جماعة من الصحابة رضى الله عنهم يختمون القرآن فى كل جمعة : كعثمان وزيد بن ثابت ، وابن مسعود ، وأبى بن كعب رضى الله عنهم . أما من ختم فى الأسبوع مرة فيقسم القرآن سبعة أحزاب ، فقد حزب الصحابة رضى الله عنهم القرآن أحزاباً ، فروى أن عثمان رضى الله عنه كان يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة إلى المائدة ، وليلة السبت بالأنعام إلى هود ، وليلة الأحد بيوسف إلى مريم ، وليلة الاثنين بطه إلى طسم موسى وفرعون ، وليلة الثلاثاء بالعنكبوت إلى ص ، وليلة الأربعاء بتنزيل إلى الرحمن ، ويختم ليلة الخميس .

وقيل أحزاب القرآن سبعة . فالحزب الأول ثلاث سور ، والحزب الثانى خمس سور ، والحزب الثالث سبع سور ، والحزب الرابع تسع سور ، والخامس إحدى عشرة سورة ، والسادس ثلاث عشرة سورة ،

---

(١) عن إحياء علوم الدين

والسابع المفصل من ق إلى آخره .

ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يضعون أمام أعينهم قول رسول الله ﷺ :

من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول «الم» حرف ، ولكن : ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف [١] .

وقول رسول الله ﷺ :

لا حسد إلا على اثنين : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل آتاه الله القرآن فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار [٢] .

ولقد وردت الآثار فى الحث على سور وآيات معينة ونورده هنا بعض ذلك ليكون كنموذج فقط . وذلك أننا توسعنا فى الموضوع فى كتابنا « العبادة » ونورده أيضاً ليكون فيه ترغيباً فى حفظ بعض السور القرآنية لمن لم يحفظ شيئاً من القرآن .

---

(١) رواه الترمذى بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه ، وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) رواه البخارى ومسلم ، ومعنى الحسد هنا : الغبطة .

● **الفاتحة :**

أما الفاتحة فإن لها عن كل اسم من أسمائها نصيباً ، إنها الفاتحة بتوفيق الله لكل شيء مغلق ، وهي الفاتحة لكل باب مقفل .

إنها : فاتحة الكتاب ، وفاتحة القرآن ، وهي أم الكتاب ، وأم القرآن .

ومن أسمائها : الكنز ، الواقية ، الكافية ، الأساس ، سورة الحمد ، سورة الشكر ، سورة الدعاء ، سورة المناجاة ، سورة التفويض .

ومن أسمائها : الرقية ، الشفاء ، الشافية ، النور ، القرآن العظيم ، السبع المثانى . وكل هذه الأسماء إنما هى شرح لبعض ما تحويه سورة الفاتحة من معان ولبعض آثارها النافعة . ولقد قال العلماء : إنها تحوى مجملا ما حواه القرآن مفصلا ومن أجل ذلك سميت أم القرآن ، ولقد روى عن سيدنا على أنه قال ما معناه ، لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً فى معانى الفاتحة .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ لأبى بن كعب ما تقرأ فى الصلاة ؟ : فقرأ أم القرآن ، فقال رسول الله ﷺ « والذى نفسى بيده ، ما أنزلت فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا فى الزبور ولا فى القرآن مثلها ، وإنها سبع من المثانى ، والقرآن العظيم الذى أعطيته » . رواه

الترمذى ، ورواه الدارمى من قوله : ما أنزلت ، ولم يذكر أبى بن كعب ، وقال الترمذى هذا حديث حسن صحيح .

وعن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تجعلوا بيوتكم مقابر ، إن الشيطان ينفر من البيت الذى يقرأ فيه سورة البقرة » رواه مسلم .

وعن جبير بن نفير « رضى الله عنه » أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله ختم سورة البقرة بآيتين أعطيتهما من كنزه الذى تحت العرش فتعلموهن وعلموهن نساءكم ، فإنها صلاة وقربان ودعاء » . رواه الدرامى مرسلا .

وعن جابر أن النبى ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ : « ألم تنزيل » وتبارك الذى بيده الملك » . رواه أحمد ، والترمذى والدارمى . وقال الترمذى : هذا حديث صحيح .

وعن على ، رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ ، يحب هذه السورة ، « سبح اسم ربك الأعلى » رواه أحمد .

وعن عروة بن نوفل عن أبيه : أنه قال يا رسول الله : علمنى شيئا أقوله إذا أويت إلى فراشى . فقال : « اقرأ : قل يأيها الكافرون » فإنها براءة من الشرك » . رواه الترمذى .

وعن عقبة بن عامر ، قال : بينما أنا أسير مع رسول الله ﷺ بين الجحفة والأبواء إذ غشيتنا ريح مظلمة شديدة فجعل رسول الله ﷺ

يتعوذ بـ « أعوذ برب الفلق » و « أعوذ برب الناس » ويقول : يا عقبة تعوذ بهما ، فما تعوذ متعوذ بمثلهما » رواه أبو داود .

● ومن الذكر الاستغفار :

لقد كان من دعاء رسول الله ﷺ :

« اللهم اغفر لى خطيئتى وجهلى وإسرافى فى أمرى . **اللهم اغفر لى هزلى وجدى وخطئى وعمدى وكل ذلك عندى . اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أنت أعلم به منى ، أنت المقدم ، وأنت المؤخر ، وأنت على كل شىء قدير » .**

ونعود مرة أخرى إلى التوبة فى صورة ثانية من صورها ، أو فى زاوية من أهم زواياها هى الاستغفار .

يروى علقمة ويروى الأسود عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال : فى كتاب الله عز وجل آيتان ما أذنب عبد ذنباً فقرأهما واستغفر الله عز وجل إلا غفر الله تعالى له :

(والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) (١)

---

(١) سورة آل عمران : آية ١٥٣

وقوله عز وجل :

(ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً) .

ولقد قال ﷺ : فى شأن الاستغفار الخالص :

« من أكثر من الاستغفار جعل الله عز وجل له من كل هم فرجا ، ومن كل ضيق مخرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب » .

وهذا الحديث الشريف يسير فى انسجام مع قوله تعالى :

(استغفروا ربكم إنه كان غفاراً . يرسل السماء عليكم مدراراً ، ويمددكم بأموال وبنين ، ويجعل لكم جنات ، ويجعل لكم أنهاراً) .

وقوله تعالى على لسان نبى الله هود :

(ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين) [١] .

والاستغفار مستحب فى كل الأوقات ، وإن لم يكن ذنب ، يقول الله تعالى فى إطلاق لا تحديد فيه :

(فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً) .

ومع هذا الإطلاق العام فإن الله سبحانه وتعالى ذكر الأسحار باعتبارها من الأوقات التى يستغفر فيها المتقون بقوله سبحانه : (وبالأسحار هم يستغفرون) . ومن أجل ذلك فإن الذين يستيقظون فى

---

(١) سورة هود : آية ٥٢

ثلث الليل الأخير ، يحرصون على انتهاز فرصة نزول ربنا إلى سماء الدنيا منادياً ، ألا هل من مستغفر فأغفر له ، ألا هل من تائب فأتوب عليه ، ألا هل من سائل فأعطيه . . فيأخذون فى الاستغفار . وسيد الاستغفار هو كما أخبر الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه :

« اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك على ، وأبوء بذنبى ، فاغفر لى : فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » .

ويروى الإمام الغزالى عن بعض العلماء أنه قال :

« العبد بين ذنب ونعمة لايصلحها إلا الاستغفار والحمد » .

ويروى عن قتادة رحمه الله قوله :

« القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم ، أما داؤكم فالذنوب وأما دواؤكم فالاستغفار » .

● **التهليل :**

والتهليل هو الذكر بلا إله إلا الله .

ومما وصفت به كلمة : لا إله إلا الله أنها :

«كلمة التوحيد ، وهى كلمة الإخلاص ، وهى كلمة التقوى ، وهى الكلمة الطيبة ، وهى دعوة الحق ، وهى العروة الوثق وهى ثمن

الجنة » [1] .

وقد روى الترمذى بسنده عن رسول الله ، ﷺ ، أنه قال :

« خير ما قلت أنا والنبيون من قبلى : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير » .

وقد أخرج الإمامان : البخارى ومسلم ، رضى الله عنهما من حديث أبى هريرة ، نضر الله وجهه ، أن رسول الله ، ﷺ قال :

« من قال لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ، مائة مرة ، كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك » .

والمعنى فى الحديث الشريف أن من قال ذلك فى إخلاص مخلص وفى اتجاه إلى الله سبحانه لا يشوبه شرك .

● التسبيح والتحميد والتكبير والحوقلة :

يقول الله تعالى :

(وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ، ومن الليل فسبحه وأدبار السجود) [2]

---

(١) إحياء علوم الدين

(٢) سورة ق – آية : ٣٩ – ٤٠ .

ويقول تعالى :

(وسبح بحمد ربك حين تقوم ، ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم) [1]

ويقول جل شأنه :

(فسبح بحمد ربك واستغفره ، إنه كان توابا) [2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان فى الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن ، سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم » [3].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله ؟ قلت : يا رسول الله أخبرنى بأحب الكلام إلى الله فقال :

« إن أحب الكلام إلى الله سبحان الله وبحمده » [4].

وعن جويرية رضي الله عنها : أن النبي ﷺ ، خرج من عندها ، ثم رجع بعد أن أضحى وهى جالسة ، فقال : مازلت على الحال التى فارقتك عليها ؟ قالت : نعم

---

(١) سورة النصر — آية : ٣ .

(٢) سورة الطور — آية : ٤٨ ، ٤٩

(٣) رواه البخارى ومسلم

(٤) رواه مسلم ، والنسائى ، والترمذى

قال النبي ﷺ :

لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات ، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن :

« سبحان الله وبحمده عدد خلقه ، ورضاء نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته » [1].

وإن من الصيغ المباركة الجامعة التى تؤخذ من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والتى جربها الكثير من الصالحين فوجدوا لها نوراً وبركة ، ما يلى : « سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم أستغفر الله » .

وسواء أكنا بصدد الاستغفار أم غيره من التهليل والتسبيح إلخ فالمطلوب تكرارها حتى ينفعل بها الإنسان ويتجاوب معها . ·

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« استكثروا من الباقيات الصالحات » قيل : وما هن يا رسول الله ؟ قال :

« التكبير ، والتهليل والتسبيح ، والحمد لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله » [2].

إذا حدثتكم بحديث ، أتيناكم بتصديق ذلك فى كتاب الله : إن العبد إذا قال : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله إلا الله ، والله أكبر ،

---

(١) رواه مسلم ، والنسائى ، وابن ماجه ، والترمذى .

(٢) رواه أحمدوأبو يعلى والنسائى

وتبارك الله ، قبض عليهن ملك فضمهن تحت جناحه ، وصعد بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن ، حتى يحيا بهن وجه الرحمن ، ثم تلا عبد الله :

« إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه »[1] .

وعن أبي موسى رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال له :

« قل لا حول ولا قوة إلا بالله ، فإنها كنز من كنوز الجنة »[2] .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : كنت أمشي خلف النبي ﷺ ، فقال لي :

يا أبا ذر ، ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟ قلت : بلى . قال :

« لا حول ولا قوة إلا بالله »[3] .

ومن الذكر الصلاة على النبي ﷺ .

يقول الله تعالى :

(إن الله وملائكته يصلون على النبي يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً) .

ولقد روى الإمام مسلم بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول :

---

(١) رواه الحاكم ، وقال صحيح الإسناد

(٢) رواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه .

(٣) رواه ابن ماجه ، وابن أبي الدنيا ، وابن حيان في صحيحه .

« من صلى عليّ صلاة ، صلى الله عليه بها عشراً » .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه – فيما رواه الترمذى وحسنه – أن رسول الله ﷺ قال :

« أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم على صلاة » .

وروى الأئمة : أحمد والترمذى والحاكم بسندهم عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ :

« أكثروا على من الصلاة يوم الجمعة ، فإنه مشهود تشهده الملائكة ، وإن أحداً لن يصلى على إلا عرضت على صلاته حتى يفرغ منها » .

قال قلت : وبعد الموت ؟ قال :

إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

ومن أفضل صيغ الصلاة على النبي ﷺ : الصيغة التى يقرؤها الإنسان فى التشهد فى الصلاة . وصيغ الصلاة على رسول الله ﷺ كثيرة ، ويسعدنى هنا أن أذكر الصيغة التى أضاءت حروفها وتلألأت والتى ذكرت ظروفها فى كتاب « المدرسة الشاذلية » وهى لتفريج الكرب :

« اللهم صل صلاة جلال ، وسلم سلام جمال على حضرة حبيبك سيدنا محمد ، واغشه اللهم بنورك كما غشيته سحابة التجليات ، فنظر إلى

وجهك الكريم ، وبحقيقة الحقائق كلم مولاه العظيم الذى أعاذه من كل سوء .

اللهم فرج كربى كما وعدت :

(أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء) .

وعلى آله وصحبه آمين .

٢ – فى الدعاء

إن القرآن الكريم يذكر لنا مجموعة من الأدعية تتناسب مع ظروف الحياة المختلفة ، فهو مثلا يحدثنا عن صورة المؤمنين فى الحروب سواء فيما يتعلق بالفعل أو بالقول ويبين لنا النتائج التى رتبها سبحانه على موقفهم ، فيقول تعالى :

(وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله ، وما ضعفوا وما استكانوا ، والله يحب الصابرين » .

(وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا ، وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة . والله يحب المحسنين) [١] .

ويعلمنا الله سبحانه وتعالى ما يقال من دعاء عند نزغ الشيطان ،

---

(١) آل عمران الآيات : ١٤٦ – ١٤٨ .

فيقول سبحانه :

(وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم) .

ويقول فى ذلك سبحانه :

(وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين ، وأعوذ بك رب أن يحضرون) .

ولقد أخذ كثير من الناس يتدبرون القرآن فى مواطن الدعاء ، فاكتشفوا أسراراً من أسرار الدعاء ، صرحوا ببعضها وتركوا لغيرهم أن يتدبر ويكتشف .

ومن هؤلاء الإمام جعفر الصادق رضى الله عنه ، الذى يقول متدبراً للقرآن ومستنتجاً منه : عجبت لأربع كيف يغفلون عن أربع :

١ - عجبت لمن ابتلى بالخوف كيف يغفل عن :

« حسبنا الله ونعم الوكيل » .

والله سبحانه وتعالى يقول :

(فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء) .

وأصل هذه القصة معروف :

يروى ابن هشام بخصوص موقف المسلمين فى أحد بعد المعركة ثانى يوم فيها قال :

مر بأبى سفيان - وكان حينئذ قائد المشركين - ركب من

عبد القيس ، فقال لهم أبو سفيان : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة ، قال : ولم ؟ قالوا : نريد الميرة ، قال : فهل أنتم مبلغون عني محمدا رسالة أرسلكم بها إليه ، وأحمل لكل فى مقابل ذلك زبيباً بعكاظ إذا وافيتمونا ؟ قالوا : نعم .

قال : إذا وافيتم محمداً فأخبروه أنا قد جمعنا المسير إليه ، وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم . ومر الركب برسول الله ﷺ ، وهو بحمراء الأسد ، فأخبروه بالذى قال أبو سفيان وأصحابه ، فكان رد الفعل عند رسول الله ﷺ ، وأصحابه ما صوره الله تعالى بقوله :

(الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم ، فاخشوهم فزادهم إيماناً ، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ، واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) .

ويقول الإمام جعفر :

٢ - وعجبت لمن ابتلى بمكر الناس به كيف يغفل عن :

(وأفوض أمرى إلى الله ، إن الله بصير بالعباد) .

والله سبحانه وتعالى يقول :

(فوقاه الله سيئات ما مكروا) .

وهذه القصة هى قصة مؤمن آل فرعون .

لقد كان فى آل فرعون رجل مؤمن يكتم إيمانه ، فلما قال فرعون : « ذرونى أقتل موسى » قال المؤمن :

(أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ، وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يلك كاذباً فعليه كذبه ، وإن يلك صادقاً يصبكم بعض الذى يعدكم إن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب . يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا) [1] .

وأخذ يدعو قومه إلى الحق ، وأخذ يجادل ويناقش محاولا جرهم إلى سواء السبيل ، ثم انتهى به الأمر معهم أن قال :

(فستذكرون ما أقول لكم ، وأفوض أمرى إلى الله ، إن الله بصير بالعباد ، فوقاه الله سيئات ما مكروا ، وحاق بآل فرعون سوء العذاب) [2] .

لقد حفظه الله حينما فوض الأمر إليه حالا ومقالا .

٣ — وعجبت لمن ابتلى بالضر كيف يغفل عن .

« رب أنى مسنى الضر ، وأنت أرحم الراحمين » .

والله سبحانه وتعالى يقول :

(فاستجبنا له وكشفنا ما به من ضر) .

والحادثة يرويها القرآن الكريم فى سورة الأنبياء قائلا :

(وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر ، وأنت أرحم الراحمين . فاستجبنا له ، فكشفنا ما به من ضر ، وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة

---

(١) سورة غافر آية : ٢٨ ، ٢٩

(٢) سورة غافر آية : ٤٤ ، ٤٥

من عندنا وذكرى للعابدين) .

٤ – وعجبت لمن ابتلى بالغم ، كيف يغفل عن :

« لا إله الا أنت ، سبحانك ، إنى كنت من الظالمين » .

والله سبحانه وتعالى يقول :

« فاستجبنا له ، ونجيناه من الغم » .

والقصة كما يذكرها القرآن ، قال :

(وذا النون إذ ذهب مغاضباً ، فظن أن لن نقدر عليه ، فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين . فاستجبنا له ، ونجيناه من الغم ، وكذلك ننجى المؤمنين)[1] .

وعلى غرار النسق الذى ذكره الإمام الصادق ، يمكن أن يقال :

عجبت لمن أذنب كيف يغفل عن :

(ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) .

والقصة كما يرويها القرآن عن آدم وحواء حينما أكلا من الشجرة :

(وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة ، وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين . قالا ربنا ظلمنا أنفسنا ، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين)[2] .

---

(١) سورة الأنبياء – آية : ٨٧ ، ٨٨ .

(٢) سورة الأعراف – آية : ٢٢ ، ٢٣ .

وعجبت لمن يخشى العذاب فى الدنيا ، كيف يغفل عن الاستغفار والله سبحانه وتعالى يقول :

(وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) [٢] .

ولقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بأن ندعوه وأن نلجأ إليه ، وأن نتضرع له فى الرخاء وفى الشدة ، وأن الإنسان وهو فى حالة النقص الدائم لمحتاج إلى الله سبحانه وتعالى ، فى كل لحظة ، فهو فى حاجة إذن إلى الدعاء فى كل فترات حياته . يقول الله سبحانه وتعالى :

(وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ، فليستجيبوا لى ، وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) [٢] .

ويقول سبحانه :

« أمن يجيب المضطر إذا دعاه ، ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أَأله مع الله قليلا ما تذكرون) .

ولقد التجأ إلى الله بالدعاء الأنبياء والمرسلون : لقد دعوه فى كل وقت لاجئين إليه ، مستغيثين به فى جميع أمورهم . ومن أمثلة ذلك قوله سبحانه :

(وزكريا إذ نادى ربه ، رب لا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين .

---

(١) سورة البقرة – آية : ١٨٦ .

(٢) سورة الأنفال – آية : ٣٣ .

فاستجبنا له ، ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه ، إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ، ويدعوننا رغبا ورهبا ، وكانوا لنا خاشعين)[1] .

واستغاث به المسلمون ، متضرعين خاشعين داعين ، فاستجاب لهم :

(إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين)[2] .

واتجه إليه رسول الله ﷺ ، حين عودته من الطائف بهذا الدعاء الرائع :

« اللهم إليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ، يأرحم الراحمين . أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى ، إلى من تكلنى ، إلى بعيد يتجهمنى ، أم إلى عدو ملكته أمرى ، إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى ، ولكن عافيتك هى أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تنزل بى غضبك ، أو يحل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك » .

والواقع أن فى الدعاء تتمثل العبودية لله سبحانه وتعالى ، واضحة جلية ، أى أنه تتمثل فيه العبادة ، فى صورة من أصدق صورها ، أما العزوف عن الدعاء ، فإنه عادة ينشأ عن نوع من عدم المبالاة بالدين ،

---

(١) سورة الأنبياء — آية : ٨٩ ، ٩٠ .

(٢) سورة الأنفال — آية : ٩ .

أساسه الكبرياء التى هى أساس كثير من المعاصى والبدع والانحرافات ، والتى كانت فى أساس المعصية الشنيعة التى تورط فيها إبليس ، حينما أمره الله فيمن أمر ، بالسجود لآدم . لقد أبى واستكبر وقال :

« أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين » ..

ولقد حملته كبرياؤه على الخطأ فى أيسر الأمور ، لقد جعل مناط الخيرية المادة : مادى الجسم ، ولم يهتد عقله فى ساعة كبريائه إلى أن المادة مجرد وعاء ، وأن الوعاء لا يكون مقياس التفضيل ، وأن ما فى الوعاء هو االذى يكون نفيسا سامياً أو خسيساً لا قيمة له .

ومنعته كبرياؤه أيضا : من أن يرجع إلى الله بالتوبة الخالصة النصوح ، وهى من مظاهرالعبودية ، ولذلك طرد من رحمة الله ، أما آدم : فإنه بمجرد أن أكل من الشجرة ، شعر بالحياء من الله ، فلجأ إليه مستغفراً تائباً منيباً ، وتمثل فيه مظهر العبودية جليًّا واضحاً : الدعاء .

« ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » .

● شهر رمضان والدعاء :

وإنه مما ينبغى فى شهر رمضان المبارك ، شهر القرآن ، أن يكثر الإنسان من الدعاء ، وذلك أنه من الأوقات التى تفتح فيها أبواب السماء ، وقد وردت الأحاديث فى قبول دعاء الصائم .

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حين يفطر ، والإمام العادل ، ودعوة المظلوم ، يرفعها الله فوق الغمام ، وتفتح لها أبواب السماء ، ويقول الرب : وعزتى وجلالى ، لأنصرنك ولو بعد حين » .

رواه أحمد فى حديث ، والترمذى وحسنه ، وابن ماجه ، وابن خزيمة ، وابن حبان فى صحيحهما ، إلا أنهم قالوا : « حتى يفطر » .

ورواه البزار مختصراً :

« ثلاثة حق على الله ألا يرد لهم دعوة : الصائم حتى يفطر . والمظلوم حتى ينتصر ، والمسافر حتى يرجع » .

وعن عبد الله – يعنى ابن أبي مليكة – عن عبد الله – يعنى ابن عمرو بن العاص – رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ :

« إن للصائم عند فطره لدعوة ما ترد » . قال وسمعت عبد الله يقول عند فطره :

اللهم إنى أسألك برحمتك التى وسعت كل شيء أن تغفر لى .

زاد فى رواية : « ذنوبى » ، رواه البيهقى .

وعن سلمان رضى الله عنه قال : خطبنا رسول الله ﷺ ، فى آخر يوم من شعبان قال :

« يأيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك ، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر ، شهر جعل الله صيامه فريضة ، وقيام ليله تطوعاً ، من

تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فريضة فيه ، كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ، وشهر المواساة ، وشهر يزاد فى رزق المؤمن فيه ، من فطر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه ، وعتق رقبته من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء . قالوا : يارسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم . فقال رسول الله ﷺ :

يعطى الله هذا الثواب من فطر صائماً على تمرة ، أو على شربة ماء ، أو مذقة لبن ، وهو شهر أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار .

من خفف عن مملوكه فيه ، غفر الله له ، وأعتقه من النار ، فاستكثروا فيه من أربع خصال :

خصلتين ترضون بهما ربكم ، وخصلتين لا غناء بكم عنهما :

فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم : فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه

وأما الخصلتان اللتان لا غناء بكم عنهما : فتسألون الله الجنة ، وتعوذون به من النار .

ومن سقى صائماً ، سقاه الله من حوضى شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة . .

رواه ابن خزيمة فى صحيحه ، ثم قال : صح الخبر ، ورواه من

طريقه البيهق .

وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال يوماً وحضر رمضان :

أتاكم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه ، فينزل الرحمة ويحط الخطايا ، ويستجيب فيه الدعاء ، ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه ، ويباهى بكم ملائكته ، فأروا الله من أنفسكم خيراً فإن الشقى من حرم فيه رحمة الله عز وجل » .

رواه الطبرانى ورواته ثقات .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ :

ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حتى يفطر ، والإمام العادل ودعوة المظلوم ، يرفعها الله فوق الغمام ، ويفتح لها أبواب السماء ، ويقول الرب : وعزتى لأنصرنك ولو بعد حين » .

رواه أحمد والترمذى وحسنه ، وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحهما ، والبزار ولفظه .

« ثلاثة حق على الله ألا يرد لهم دعوة : الصائم حتى يفطر ، والمظلوم حتى ينتصر ، والمسافر حتى يرجع » .

وإن من الملاحظات الدقيقة التى يلاحظها ذوو البصائر المشرقة ، أن الآيات التى تتحدث عن أحكام الصوم وحكمته ، وعن شهر رمضان ، جمعت فى مكان واحد من سورة البقرة ، ويفجأ الإنسان أنه يتخللها

قوله تعالى :

« وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) .

وهذه المفاجأة : لا تمر مهملة ، كلا ؛ فإن كل وضع فى القرآن له حكمته ، ومن الحكمة التى تبدو لنا فى تخلل آية الدعاء ، فى وسط الآيات عن رمضان والصيام ، أن الدعاء فى أثناء ذلك جدير بالاستجابة ، لما يحيط به من جو روحانى هو جو العبودية والتقوى ، الناتج عن الصيام ، وعن الصلاح الذى يتسم به من صام إيمانا واحتساباً ، والذى تصف الأحاديث النبوية الشريفة بعض مظاهره بعد ثماره :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

قال الله عز وجل :

(كل عمل ابن آدم له ، إلا الصوم ، فإنه لى ، وأنا أجزى به ، والصيام جنة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فإن سابه أحد ، أو قاتله ، فليقل : إنى صائم ، إنى صائم) .

والذى نفس محمد بيده ، لخلوف فم الصائم أطيب من ريح المسك ، للصائم فرحتان يفرحهما : إذا أفطر فرح بفطره ، وإذا لقى ربه فرح بصومه »[1].

وفى رواية للبخارى :

---

(١) رواه البخارى ، واللفظ له ، ومسلم .

يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلى ، الصيام لى وأنا أجزى به ، والحسنة بعشر أمثالها » .

وفى رواية لمسلم .

كل عمل ابن آدم يضاعف ، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، قال الله تعالى :

« إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به ، يدع شهوته وطعامه من أجلى للصائم فرحتان : فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه ، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » .

من الدعاء فى القرآن

(بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم : مالك يوم الدين . إياك نعبد وإياك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) .

(وإذ قال موسى لقومه ، إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ، قالوا أتتخذنا هزوا ، قال : أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) [١] .

(وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك

---

(١) سورة البقرة — آية : ٦٧ .

أنت السميع العليم .

ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا وتب علينا ، إنك أنت التواب الرحيم) [١] .

(ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة ، وفى الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار) [٢] .

(فلما فصل طالوت بالجنود قال : إن الله مبتليكم بنهر ، فمن شرب منه ، فليس منى ، ومن لم يطعمه فإنه منى ، إلا من اغترف غرفة بيده ، فشربوا منه إلا قليلا منهم ، فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه ، قالوا : لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ، قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله ، كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين .

ولما برزوا لجالوت وجنوده ، قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً ، وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) [٣] .

آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه ، والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا ، غفرانك ربنا وإليك المصير .

لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ؛

---

(١) سورة البقرة — آية : ١٢٧ ، ١٢٨ .

(٢) سورة البقرة — آية ٢٠١ .

(٣) سورة البقرة — آية ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، واعف عنا ، واغفر لن ، وارحمنا ، أنت مولانا ، فانصرنا على القوم الكافرين) (١) .

(ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة ، إنك أنت الوهاب) (٢) .

(الذين يقولون ربنا إننا آمنا ، فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار) (٣) .

(هنالك دعا زكريا ربه ، قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة . إنك سميع الدعاء) (٤) .

(ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول ، فاكتبنا مع الشاهدين) (٥) .

(وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين) (٦) .

---

(١) سورة البقرة – آية : ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

(٢) سورة آل عمران – آية : ٨ .

(٣) سورة آل عمران – آية : ١٦ .

(٤) سورة آل عمران – آية : ٣٨ .

(٥) سورة آل عمران – آية : ٥٣ .

(٦) سورة آل عمران – آية : ١٤٧ .

(ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار) [1].

(ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا ، وتوفنا مع الأبرار. ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ، ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد) [2].

« الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها ، واجعل لنا من لدنك وليًّا واجعل لنا من لدنك نصيرًا » [3].

(وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ، يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين) [4].

(قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا ، وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين) [5].

(وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار ، قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) [6].

« وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ، ربنا أفرغ علينا صبراً

---

(١) سورة آل عمران – آية : ١٩١ .

(٢) سورة آل عمران – آية : ١٩٣ ، ١٩٤ .

(٣) سورة النساء – آية : ٧٥ .

(٤) سورة المائدة – آية : ٨٣ .

(٥) سورة المائدة – آية : ١١٤ .

(٦) سورة الأعراف – آية : ٤٧ .

وتوفنا مسلمين » [١] .

(قال رب اغفر لى ولأخى وأدخلنا فى رحمتك ، وأنت أرحم الراحمين) [٢] .

(فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين . ونجنا برحمتك من القوم الكافرين) [٣] .

(رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ، ربنا وتقبل دعاء ، ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) [٤] .

(إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا : ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً) [٥] .

(قال رب اشرح لى صدرى ، ويسر لى أمرى ، واحلل عقدة من لسانى ، يفقهوا قولى) [٦] .

(فتعالى الله الملك الحق ، ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه ، وقل : رب زدنى علماً) [٧]

---

(١) سورة الأعراف – آية ١٢٦ .

(٢) سورة الأعراف – آية : ١٥١ .

(٣) سورة يونس – آية : ٨٥ ، ٨٦ .

(٤) سورة إبراهيم – آية : ٤٠ ، ٤١ .

(٥) سورة الكهف – آية : ١٠ .

(٦) سورة طه – آية ٢٥ – ٢٨ .

(٧) سورة طه – آية ١١٤ .

(وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين) .

(فاستجبنا له ، ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين) .

(وزكريا إذ نادى ربه ، رب لا تذرنى فرداً وأنت خير الوارثين)

(فاستجبنا له ، ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه ، إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً ، وكانوا لنا خاشعين) (١) .

(قل رب إما ترينى ما يوعدون . رب فلا تجعلنى فى القوم الظالمين) (٢) .

(وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين . وأعوذ بك رب أن يحضرون) (٣) .

(إنه كان فريق من عبادى يقولون ، ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين) (٤) .

(وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين)(٥) .

(والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً .

---

(١) سورة الأنبياء – الآيات ٨٧ – ٩٠ .

(٢) سورة المؤمنون – آية ٩٣ ، ٩٤ .

(٣) سورة المؤمنون – آية : ٩٧ ، ٩٨ .

(٤) سورة المؤمنون – آية : ١٠٩ .

(٥) سورة المؤمنون – آية : ١١٨ .

إنها ساءت مستقراً ومقاما) [1].

(والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين ، واجعلنا للمتقين إماماً) [2] .

(رب هب لى حكماً وألحقنى بالصالحين

واجعل لى لسان صدق فى الآخرين .

واجعلنى من ورثة جنة النعيم .

واغفر لأبى إنه كان من الضالين .

ولا تخزنى يوم يبعثون .

يوم لا ينفع مال ولا بنون .

إلا من أتى الله بقلب سليم) [3] .

(فتبسم ضاحكاً من قولها ، وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدى ، وأن أعمل صالحاً ترضاه ، وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين) [4] .

(قال رب إنى ظلمت نفسى فاغفرلى ، فغفر له ، إنه هو الغفور الرحيم)[5] .

---

(١) سورة الفرقان – آية : ٦٥ ، ٦٦ .

(٢) سورة الفرقان – آية : ٧٤ .

(٣) سورة الشعراء – آية : ٨٣ – ٨٩ .

(٤) سورة النمل – آية : ١٩ .   (٥) سورة القصص – آية : ١٦ .

(فخرج منها خائفاً يترقب ، قال رب نجنى من القوم الظالمين)[1] .

(ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً ، فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك ، وقهم عذاب الجحيم) .

(ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم ، وذرياتهم ، إنك أنت العزيز الحكيم)[2] .

(فستذكرون ما أقول لكم ، وأفوض أمرى إلى الله ، إن الله بصير بالعباد)[3] .

(ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون)[4] .

(قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدى وأن أعمل صالحاً ترضاه ، وأصلح لى فى ذريتى ، إنى تبت إليك وإنى من المسلمين)[5] .

(ليس لها من دون الله كاشفة)[6] .

(والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين

---

(١) سورة القصص - آية : ٢١ .

(٢) سورة غافر - آية : ٧، ٨ .

(٣) سورة غافر - آية : ٤٤.

(٤) سورة الدخان - آية ١٢ .

(٥) سورة الأحقاف - آية : ١٥ .

(٦) سورة النجم - آية : ٥٨ .

سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم)[1].

(ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا ، وإليك المصير).

(ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم)[2].

(يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه ، نورهم يسعى بين أيديهم ، وبأيمانهم ، يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا ، إنك على كل شىء قدير)[3] .

(قل أعوذ برب الفلق . من شر ما خلق . ومن شر غاسق إذا وقب . ومن شر النفاثات فى العقد . ومن شر حاسد إذا حسد)[4] .

(قل أعوذ برب الناس . ملك الناس . إله الناس . من شر الوسواس الخناس . الذى يوسوس فى صدور الناس . من الجنة والناس)[5] . .

* * *

---

(١) سورة الحشر – آية : ١٠

(٢) سورة الممتحنة – آية : ٤ ، ٥ .

(٣) سورة التحريم : آية : ٨ .

(٤) سورة الفلق .

(٥) سورة الناس .

والآن ننتقل إلى من كان خلقه القرآن ، إلى رسول الله ﷺ .

لقد حث رسول الله ﷺ كثيراً على الدعاء وعالجه من نواح متعددة وكان فى كل ذلك متمشياً تمشياً كاملا مع القرآن .

إن القرآن الكريم حث على الدعاء ، وذكر أنماطاً من الدعوات ومواقف من اللجوء إلى الله فى ذلك . ولقد نهج رسول الله ﷺ هذا النهج : لقد حث صلوات الله وسلامه عليه ، على الدعاء واستفاض ﷺ فيه استفاضة تتناسب مع العبودية الكاملة لله سبحانه وتعالى التى حققها رسول الله ﷺ بقوله وحققها بسلوكه وحققها بمشاعره وأحاسيسه التى أعلنت ، فى وضوح ، العبودية فى أتم صورها .

وكما تتسم الدعوات فى القرآن بالسهولة الممتنعة فى الأسلوب فإن دعوات رسول الله ﷺ تتسم بالجزالة والوضوح .

ولقد كان رسول الله ﷺ ، يدعو بما يتناسب مع الوضع الذى هو فيه ، زماناً كان ، أو مكاناً ، أو حالة نفسية ، أو اجتماعية .

بل كان له فى كثير من الحالات أدعية عدة لكل حالة بذاتها تتفاوت طولا وقصراً ، وتختلف معنى ولفظاً .

ونحن الآن بعد أن أوجزنا الحديث عن موقف القرآن من الدعاء . نبدأ الآن بالحديث عن موقف رسول الله ﷺ من الدعاء ، وهذا الذى نشرع فيه الآن إنما هو توضيح للموقف القرآنى نفسه وذلك أن الله سبحانه وتعالى يقول لرسوله ﷺ :

(وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون) .

وإننا إذن لم نخرج عن الحديث فى القرآن حينما نتحث عن موقف رسول الله ﷺ من الدعاء وحينما نستفيض فى ذكر صيغ من دعاء رسول الله ﷺ .

● فضل الدعاء :

عن أبى هريرة رضى الله عنه – فيما أخرجه الإمام أحمد والترمذى – عن النبى ﷺ :

« ليس شىء أكرم على الله من الدعاء » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« الدعاء سلاح المؤمن ، وعماد الدين ، ونور السموات والأرض » [1].

وعن النعمان بن بشير ، رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال :

« الدعاء هو العبادة » ، ثم قرأ :

(وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ، إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين) [2] .

وروى عن أنس رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :

---

(١) رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد ورواه أبو يعلى من حديث على .

(٢) رواه أبو داود ، والترمذى . وقال حديث صحيح .

« الدعاء مخ العبادة » رواه الترمذى .

وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :
« ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله تعالى إياها ، أو صرف عنه من السوء مثلها ، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم » فقال رجل من القوم :

« إذن نكثر » قال : « الله أكثر » رواه الترمذى ، والحاكم .

وعن أبى هريرة ، رضى الله عنه قال : قال رسول الله ، ﷺ :
« ما من مسلم ينصب وجهه لله عز وجل فى مسألة إلا أعطاها إياه : إما أن يعجلها له ، وإما أن يدخرها له فى الآخرة »[٢] .

وعن جابر بن عبد الله ، رضى الله عنهما عن النبى ، ﷺ قال :
« يدعو الله بالمؤمن يوم القيامة حتى يوقفه بين يديه ، فيقول : عبدى إنى أمرتك أن تدعونى ، ووعدتك أن أستجيب لك ، فهل كنت تدعونى ؟

فيقول : نعم يارب .

فيقول : أما إنك لم تدعنى بدعوة إلا استجبت لك ، أليس دعوتنى يوم كذا وكذا ، لغم نزل بك أن أفرج عنك ففرجت عنك ؟

فيقول : نعم يارب .

فيقول : إنى عجلتها لك فى الدنيا .

---

(١) رواه أحمد رضى الله عنه .

ودعوتنى يوم كذا وكذا لغم نزل بك أن أفرج عنك فلم تر فرجاً ؟

قال : نعم يارب .

فيقول : إنى ادخرت لك بها فى الجنة كذا وكذا .

ودعوتنى فى حاجة أن أقضيها لك فى يوم كذا وكذا فقضيتها ؟

فيقول : نعم يارب .

فيقول : إنى عجلتها لك فى الدنيا .

ودعوتنى يوم كذا وكذا فى حاجة أقضيها لك فلم تر قضاءها ؟

فيقول : نعم يارب .

فيقول : إنى ادخرت لك بها فى الجنة كذا وكذا » .

قال رسول الله ، ﷺ :

« فلا يدع الله دعوة دعا بها عبده المؤمن إلا بين له : إما أن يكون عجل له فى الدنيا ، وإما أن يكون الأجر له فى الآخرة ، قال : فيقول المؤمن فى ذلك المقام : يا ليته لم يكن عجل له شىء من دعائه »[١] .

وعن أنس رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

قال الله تعالى :

« يابن آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى ، يابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ، ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالى ، يابن آدم إنك لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ،

---

(١) رواه الحاكم

ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة »[1].

وعن أبى هريرة ، رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« إن الله عز وجل يقول :

« أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه إذا دعانى »[2].

وعن أبى صالح : فيما أخرجه ابن ماجه — قال :

قال رسول الله ﷺ :

« من لم يسأل الله يغضب عليه » .

وعن عبد الله — فيما أخرجه الترمذى — قال : قال رسول الله ﷺ :

« سلوا الله من فضله ، فإن الله يحب أن يسأل ، وأفضل العبادة انتظار الفرج » .

وعن أبى ذر[3] رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ فيما يروى عن ربه عز وجل أنه قال :

« يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا .

---

(١) رواه أحمد والحاكم .

(٢) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه .

(٣) حينما كان أبو أدريس الخولانى يروى هذا الحديث بالذات فإنه كان يتخذ هيئة مخصوصة إجلالا للحديث . لقد كان يجثو على ركبتيه أولا ثم يبدأ الحديث .

يا عبادى كلكم ضال إلا من هديته ، فاستهدونى أهدكم .

يا عبادى كلكم جائع إلا من أطعمته ، فاستطعمونى أطعمكم .

يا عبادى كلكم عار إلا من كسوته ، فاستكسونى أكسكم .

يا عبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفرونى أغفر لكم .

يا عبادى إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى .

يا عبادى لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئاً .

يا عبادى لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل إنسان منكم مسألته ، ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر .

يا عبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله عز وجل ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » [1] .

---

(١) رواه مسلم .

● **الدعاء والقضاء :**

وعن ثوبان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

لا يرد القدر إلا الدعاء ، ولا يزيد فى العمر إلا البر ، وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يذنبه [١].

وعن سلمان الفارسى رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال :

« لا يرد القضاء إلا الدعاء ، ولا يزيد فى العمر إلا البر » [٢].

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ :

« لا يغنى حذر عن قدر ، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء ، فيعتلجان إلى يوم القيامة » [٣].

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :

« من فتح له منكم باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة ، وما سئل الله شيئاً » يعنى أحب إليه من أن يسأل العافية ، وقال : قال رسول الله ﷺ :

« إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، فعليكم عباد الله بالدعاء » [٤].

---

(١) رواه ابن حبان فى صحيحه ، والحاكم .

(٢) رواه الترمذى .

(٣) رواه البزار ، والطبرانى ، والحاكم .

(٤) رواه الترمذى ، والحاكم .

ويقول الإمام الغزالى :

فإن قلت : ما فائدة الدعاء والقضاء لا مرد له ؟

فاعلم أن القضاء رد البلاء بالدعاء واستجلاب الرحمة ، فالدعاء سبب لرد البلاء كما أن الترس سبب لرد السهم ، والماء سبب لخروج النبات من الأرض ، فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان ، وليس ، من شرط الاعتراف بقضاء الله تعالى ألا يحمل السلاح ، وقد قال تعالى :

(خذوا حذركم) .

وألا تسقى الأرض بعد بث البذور ، فيقال إن سبق القضاء بالنبات نبت البذر ، وإن لم يسبق لم ينبت ، بل ربط الأسباب بالمسببات هو القضاء الأول .

وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الأسباب على التدريج والتقدير هو القدر ، فالذى قدر الخير قدره لسبب والذى قدر الشر قدر لدفعه سببا ، فلا تناقض فى هذه الأمور عند من انفتحت بصيرته » اهـ.

● ثمرة الدعاء :

عن أنس رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تعجزوا فى الدعاء ، فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد »(١) .

---

(١) رواه ابن حبان والحاكم .

وعن أبي سعيد الخدرى ، رضى الله عنه ، أن النبى ، ﷺ قال :
« ما من مسلم يدعو بدعوة ليس بها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث : إما أن يعجل له دعوته ، وإما أن يدخرها له فى الآخرة ، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها » .
قالوا : إذن نكثر؟ [1]
قال : الله أكثر.
وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته ، ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل » [2].

● **استجابة الدعاء :**

عن سلمان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« إن الله حيى كريم يستحيى إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرا خائبتين » [3].
فإذا أردت الاستجابة فابدأ :
١ - بالتوبة الخالصة النصوح .

---

(١) رواه أحمد والبزاز وأبو يعلى ، والحاكم .
(٢) رواه أبو داود والترمذى . والحاكم .
(٣) رواه أبو داود ، والترمذى ، وحسنه .

٢ – وتحر الحلال .

فعن ابن عباس ، فيما أخرجه الحافظ ابن مردويه ، تليت هذه الآية عند النبي ، ﷺ :

(يأيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا) فقام سعد بن أبى وقاص فقال :

« يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة فقال :

« يا سعد ، أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، والذى نفس محمد بيده أن الرجل ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل منه أربعين يوما ، وأيما عبد نبت لحمه من السحت والربا فالنار أولى به » .

● **الدعاء فى الرخاء :**

وعن أبى هريرة ، رضى الله عنه ، أن رسول الله ، ﷺ قال :

« من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد فليكثر من الدعاء فى الرخاء »[1] .

دعاء المسلم لأخيه بظهر الغيب :

عن أبى الدرداء رضى الله عنه ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول :

« ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك ولك

---

(١) رواه الترمذى والحاكم .

بمثل » [١]

وعنه أن رسول الله ﷺ، كان يقول :

« دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة ، عند رأسه ملك موكل ، كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل آمين ولك بمثل » [٢].

وعن صفوان بن عبد الله فيما رواه الإمام مسلم — قال :

قدمت الشام فأتيت أبا الدرداء فى منزله فلم أجده ، ووجدت أم الدرداء .

فقالت أتريد الحج العام ؟

فقلت : نعم .

فقالت : ادع لنا بخير ، فإن رسول الله ﷺ كان يقول :

دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب [٣] مستجابة ، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير ، قال الملك الموكل به آمين ولك بمثل .

قال : فخرجت إلى لسوق فلقيت أبا الدرداء ، فقال لى مثل ذلك يرويه — عن النبى ﷺ » .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم .

(٣) أى فى حالة غيبة أخيه .

● **أوقات الدعاء وأماكنه :**

والدعاء يصح فى كل وقت ، بيد أن هناك أوقاتا وأماكن أرجى فى قبول الدعاء من غيرها ، وقد ذكر رسول الله ﷺ ، أوقاتا للدعاء ، منها ثلث الليل الأخير.

يقول صلوات الله وسلامه عليه :

« ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول : من يدعونى فأستجيب له ؟ من يسألنى فأعطيه ؟ من يستغفرنى فأغفر له ؟ » رواه البخارى » .

ولقد سئل رسول الله ، ﷺ ، عن : أى الدعاء أسمع ؟ فقال : « جوف الليل الآخر ، ودبر الصلوات المكتوبة » رواه الترمذى وحسنه .

وروى مسلم عن أبى هريرة عن رسول الله ، ﷺ :

« أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثروا من الدعاء » .

ونقل البيهقى فى السنن الكبرى عن الإمام الشافعى ، أنه قال : بلغنا أنه كان يقال :

« إن الدعاء ، يستجاب فى خمس ليال ، فى ليلة الجمعة ، وليلة الأضحى ، وليلة الفطر ، وأول ليلة من رجب ، وليلة النصف من شعبان » .

وعن سهل بن سعد رضى الله عنه قال :
قال رسول الله ﷺ :
« ساعتان لا ترد على داع ، دعوته : حين تقام الصلاة ، وفى الصف فى سبيل الله » رواه ابن حبان فى صحيحه .
الأماكن الطاهرة المباركة ، وأشرفها الحرم المكى والحرم المدنى . والمسجد الأقصى .
وقال ﷺ :
« الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد » [1] .
وقال ﷺ أيضا :
« الصائم لاترد دعوته » [2]
وقال ﷺ :
« أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد ، فأكثروا من الدعاء » [3] .
وروى ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال [4] :
« إنى نهيت أن أقرأ القرآن راكعا وساجدا ، فأما الركوع فعظموا فيه

---

(1) رواه الحاكم وصححه .
(2) رواه الترمذى وحسنه .
(3) رواه مسلم .
(4) رواه مسلم .

الرب ، وأما السجود فاجتهدوا فيه بالدعاء فقمين أن يستجاب لكم »[1] .

● من جوامع الدعاء :

عن أبي أمامة رضى الله عنه قال : دعا رسول الله ﷺ وسلم بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئاً ، قلنا يا رسول الله ، دعوت بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئا؟ ؟ قال ألا أدلكم على ما يجمع ذلك كله تقول :

« اللهم إنى أسألك من خير ما سألك منه نبيك محمد ، ونعوذ بك من شر ما استعاذك منه نبيك محمد ﷺ ، وأنت المستعان ، وعليك البلاغ ، ولا حول ولا قوة إلا بالله »[2] .

وعنه رضى الله عنه ، قال : كان رسول الله ﷺ يقول :

« اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى ، وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى ، وأصلح لى آخرتى التى فيها معادى ، واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير ، واجعل الموت راحة لى من كل شر»[3]

وروى الحاكم فى صحيحه أن رسول الله ﷺ ، قال :

---

(١) انظر إحياء علوم الدين .

(٢) رواه الترمذى وقال حديث حسن .

(٣) رواه مسلم .

أتحبون أيها الناس أن تجتهدوا فى الدعاء؟

قالوا : نعم يارسول الله .

قال : قولوا اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك .

خاتـمَة

فى مرضاة الله

إن آيات الصيام وردت فى القرآن فى موضع واحد من سورة البقرة ، ووردت متتالية . بيد أنه تخللها - دون أن يكون هناك مقدمات ظاهرة - آية لا تتحدث عن حكمة الصيام ، ولا عن كيفيته ، ولا عن أحكامه ، هى آية :

(وإذا سألك عبادى عنى ، فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) .

وإذا تأملت قليلا تجد أن هذه الآية ليست بعيدة عن جو الصيام : وذلك أن الله سبحانه وتعالى ، إنما يتقبل من المتقين .

فإذا أثمر الصيام التقوى ، وهى الحكمة التى شرع الصيام من أجلها ، فقد أدى الغاية التى فرض بسببها .

وهذه الغاية نفسها لها ثمرتها التى تلازمها ، وهى مرضاة الله ، وفى مرضاة الله كل خير : إن فيه التوفيق ، وفيه تسديد الخطى ، وفيه حب الله لعبده ، ورضوانه عنه ، وفيه استجابة دعائه ، وفيه قربه ، وكأن الآية تقول :

وإذا سألك عنى عبادى الذين حققوا العبودية لى بالتقوى التى أثمرها الصوم ، فإنى قريب منهم ، إنى أقرب إليهم من حبل الوريد ، أجيب

من دعا ، وأرشد من تحير ، وآخذ بيد من وقع فى هم .

(ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه) .

فهرس

صفحة